

جامعة قطر

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

العدالة في المنظور الإسلامي وأثرها في تحقيق مقاصد الحوار الحضاري

إعداد

عائشة راشد علي صبيح السنيد

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

برنامج الأديان وحوار الحضارات

يناير ٢٠٢٢م / ١٤٤٣هـ

© ٢٠٢٢م. عائشة راشد علي صبيح السنيد . جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب/ة عائشة راشد علي صبيح السنيد بتاريخ ٢٠٢١/١١/١٨، ووُفق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه. وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءاً من امتحان الطالب.

الاسم

المشرف: الدكتور حسن حميد عبيد

الاسم

الدكتور أحمد زايد

الاسم

الدكتور علاء هيلات

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَص

عائشة راشد علي صبيح السنيد، ماجستير في برنامج الأديان وحوار الحضارات:

يناير ٢٠٢٢ م .

العنوان: العدالة في المنظور الإسلامي وأثرها في تحقيق مقاصد الحوار الحضاري

المشرف على الرسالة: الأستاذ الدكتور حسن حميد عبيد

تهدف هذه الدراسة إلى بيان مفهوم العدالة في المنظور الإسلامي وأثرها في تحقيق مقاصد الحوار الحضاري، ويمكن أن تتجسد في خمسة مقاصد مقترحة في هذه الدراسة، وهي: حفظ الكرامة الإنسانية، وحرية المعتقد، وحرية التعبير عن الرأي، والمصالح الإنسانية المشتركة، والتعارف والتعايش، فالعدالة مبدأ إنساني ومقصد عظيم، دلّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية وكان من أهم أسباب النهضة الحضارية والإسلامية والانفتاح على الآخر إقامة العدل.

إن وجود العدالة في مشهد الحوار الحضاري يُكسبه معنىً ونتيجةً، وغيابها يؤدي إلى عدم وجود نتائج إيجابية واقعية للحوار ومقاصده، وتبعاً لذلك اضطرب الاستقرار، وتلاشت الحريات الإنسانية؛ وبناء على ذلك تأتي هذه الدراسة لتبيّن مفهوم وأهمية مبدأ العدالة في الرؤية الإسلامية لتحقيق مقاصد دينية وإنسانية وحضارية كثيرة، وباستقراء التاريخ الإسلامي يتأكد أن الأمة الإسلامية قدّمت نماذج حوارية رائعة جسّدت مبدأ العدالة في الحوار مع الآخر، وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتائج منها: أهمية تطبيق مبدأ العدالة بمفهومها الإنساني؛ لتحقيق المقاصد المرجوة من الحوار الحضاري والإنساني بين الأمم، والشعوب، والحضارات المختلفة.

ABSTRACT

JUSTICE IN THE ISLAMIC PERSPECTIVE AND ITS IMPACT

ON ACHIEVING CIVILIZED DIALOGUE

THIS STUDY DEALS WITH THE CONCEPT OF JUSTICE. A HUMAN PRINCIPLE AND A GREAT PURPOSE, EVIDENCED BY THE HOLY QUR'AN AND THE SUNNAH OF THE PROPHET, AND ONE OF THE MOST IMPORTANT REASONS FOR THE CIVILIZATIONAL AND ISLAMIC RENAISSANCE AND OPENNESS TO THE OTHER IS THE ESTABLISHMENT OF JUSTICE.

THE PRESENCE OF JUSTICE IN THE CIVILIZED DIALOGUE SCENE GIVES IT MEANING AND A RESULT, AND ITS ABSENCE LEADS TO THE ABSENCE OF POSITIVE AND REALISTIC RESULTS AND PURPOSES OF DIALOGUE, AND ACCORDINGLY STABILITY HAS BEEN DISTURBED, AND HUMAN FREEDOMS HAVE VANISHED. BASED ON THAT, THIS STUDY COMES TO SHOW THE CONCEPT AND IMPORTANCE OF THE PRINCIPLE OF JUSTICE IN THE ISLAMIC VISION TO ACHIEVE MANY RELIGIOUS, HUMAN AND CIVILIZED PURPOSES, AND BY EXTRAPOLATING ISLAMIC HISTORY, IT IS CONFIRMED THAT THE ISLAMIC NATION

PRESENTED WONDERFUL DIALOGUE MODELS THAT EMBODIED THE PRINCIPLE OF JUSTICE IN DIALOGUE WITH THE OTHER, AND THIS STUDY REACHED RESULTS, INCLUDING: THE IMPORTANCE OF APPLYING THE PRINCIPLE OF JUSTICE IN ITS HUMANITARIAN SENSE; TO ACHIEVE THE DESIRED GOALS OF CIVILIZED AND HUMAN DIALOGUE BETWEEN NATIONS, PEOPLES, AND DIFFERENT CIVILIZATIONS.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الشكر لله أولاً وآخراً، فالحمد لله كثيراً على نعمه ولطائفه التي أحاطتني خلال مرحلة الماجستير في كتابة البحث وإتمامه، والله أسأل أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، والشكر موصول لأمي الغالية ووالدي الكريم -رحمه الله- فلو كان بيننا لكان اليد الأخرى التي تدفعني إلى الأمام.

كما أتوجه بوافر الشكر للأستاذ الدكتور حسن عبيد الذي كان بمثابة الأب الموجه والناصح خلال إشرافه على الأطروحة، فجزاه الله عنى خير الجزاء، وخالص شكري وتقديري لأساتذتي الكرام على ما قدموه من جهود علمية مباركة بُغية الإرتقاء بالمستوى العلمي لطلبتهم، وأخص منهم أساتذتي: أ. د محمد خليفة حسن - أتم الله عافيته -، والأستاذ الدكتور عبد القادر بخوش، والأستاذ الدكتور محمد عياش، والأستاذ الدكتور عز الدين معميش، والدكتور علاء هيلات، ومنسق برنامج الأديان وحوار الحضارات الأستاذ الدكتور أحمد زايد، وكل من مد إليّ يد العون والمساعدة بكلمة أو مصدر أو توجيه أو نصيحة، كما أشكر زميلات التخصص اللاتي شاركنني ساعات الاجتهاد والبحث فكانوا خير صاحبات في طلب العلم.

الإهداء

إلى عائلتي

ممتنة لفيض عطائكم، دعمكم، كلماتكم، ودعائكم.

فهرس المحتويات

و.....	شكر وتقدير
ز.....	الإهداء
١.....	المقدمة
٢.....	أولاً: أهداف البحث
٢.....	ثانياً: مشكلة البحث
٣.....	ثالثاً: أهمية البحث
٣.....	رابعاً: الدراسات السابقة
٦.....	خامساً: منهجية البحث
٦.....	سادساً: خطة البحث
٨.....	التمهيد
٨.....	مصطلحات الدراسة
١٣.....	الفصل الأول: العدالة في المنظور الإسلامي
١٤.....	المبحث الأول: العدالة في القرآن الكريم
١٤.....	المطلب الأول: مفردات العدالة في القرآن الكريم
٢٠.....	المطلب الثاني: منزلة العدالة في القرآن الكريم

المبحث الثاني: العدالة في السنة النبوية.....	٢١
المبحث الثالث: العدالة في الفكر الإسلامي	٢٤
المبحث الرابع: أهمية العدالة في تحقيق الحوار مع الذات والآخر	٢٧
الفصل الثاني: أثر العدالة في تحقيق مقاصد الحوار الحضاري	٣١
المبحث الأول: التأصيل لمقاصد الحوار الحضاري	٣٢
المبحث الثاني: أثر العدالة في تحقيق مقصد حفظ الكرامة الإنسانية.....	٥٠
المطلب الأول: موقف الإسلام من حفظ الكرامة الإنسانية.....	٥٠
المطلب الثاني: مظاهر حفظ الكرامة الإنسانية في الإسلام.....	٥٣
المطلب الثالث: أثر عدالة الحوار في حفظ الكرامة الإنسانية.....	٥٥
المبحث الثالث: أثر العدالة في تحقيق مقصد حرية المعتقد	٥٧
المطلب الأول: الخلفية التاريخية لمصطلح حرية المعتقد	٥٧
المطلب الثاني: أثر عدالة الإسلام في تحقيق مقصد حرية المعتقد	٥٩
المبحث الرابع: أثر العدالة في تحقيق مقصد حرية التعبير عن الرأي	٦٦
المطلب الأول: العلاقة بين حرية المعتقد وحرية التعبير عن الرأي.....	٦٦
المطلب الثاني: موقف الإسلام من حرية التعبير عن الرأي	٦٧
المطلب الثالث: أثر العدالة في تحقيق حرية التعبير عن الرأي	٧٥

المبحث الخامس: أثر العدالة في تحقيق مقصد التكافل الاقتصادي..... ٧٩

المبحث السادس: أثر العدالة في تحقيق مقصد التعارف والتعايش ٨٣

قائمة المصادر والمراجع..... ٩٨

المراجع الإلكترونية:..... ١٠٥

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه الطيبين أفضل الصلاة وأتم التسليم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ويعد.

فإن غاية الإنسان في هذه الدنيا أن يحيى حياة طيبة، وقد تكفل الإسلام بتوفير هذه الحياة لكل من يتبع شريعته، ويتحلى بقيمه ومبادئه، فالدين الإسلامي يشتمل على مجموعة من الأخلاق والقيم والمبادئ التي تحافظ على الإنسان من الانهيار الروحي والخواء النفسي، كما أن قيمة العدالة من القيم الكبرى في سلم القيم والمبادئ الإسلامية؛ إذ إنها قيمة إنسانية عظيمة وردت في ذكرها آيات قرآنية، وأحاديث نبوية دالة على أهميتها، ومكانتها، ومحوريتها؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، وللعدالة دور بارز في تحقيق نهضة إنسانية، وعمرانية، تجلت بحضارة إسلامية أشرقت بنورها أرجاء المعمورة، كما أن رحلة البحث الإنساني عن العدالة في التاريخ، طويلة وممتدة من بداية الخلق إلى يومنا الذي نعيشه.

ويركز هذا البحث على مبدأ العدالة باعتباره مبدأ محورياً في الإسلام؛ ولأجل تحقيقه كانت المنظومة التشريعية والمقاصدية، ومن ثم جاءت هذه الدراسة لتتبع أثر هذا المقصد العظيم في تحقيق مقاصد الحوار الإنساني والحضاري.

وقد جاء هذا البحث لبيّن أهمية وأثر مبدأ العدالة كمبدأ محوري في الإسلام في الإسلام؛ لأن المقصود من تشريع الأحكام تحقيق المصالح ودرء المفسد وذلك لا يتحقق إلا بتطبيق العدالة بمفاهيمها ودلالاتها المختلفة في الدين والدنيا، وهو مبدأ ومقصد عظيم تجسّد في مجالات

الدين والدنيا، فضلاً عن أنه مبدأ إنساني يتجلى في مجالات الحوار المختلفة لتحقيق مقاصد كثيرة، لذلك جاءت هذه الدراسة لتوظيف هذا المقصد العظيم وتبيين أثره في تحقيق مقاصد الحوار الإنساني والحضاري، ومنها: حفظ الكرامة الإنسانية، وتحقيق حرية المعتقد، وتحقيق حرية التعبير عن الرأي، وتحقيق التكافل الاقتصادي، وتحقيق التعارف والتعايش.

أولاً: أهداف البحث

- (١) يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم العدالة ومكانته في الإسلام.
- (٢) تتبّع أثر العدالة في تحقيق مقاصد الحوار الحضاري وهي: حفظ الكرامة الإنسانية، وتحقيق حرية المعتقد وحرية التعبير عن الرأي، وتحقيق التكافل الاقتصادي، وأخيراً تحقيق التعارف والتعايش الإنساني المنشود.

ثانياً: مشكلة البحث

يكمن السؤال الرئيس للبحث: ما أثر المنظور الإسلامي للعدالة في تحقيق مقاصد الحوار الحضاري؟ ويتفرع منه عدة أسئلة:

- (١) ما مكانة العدالة في القرآن الكريم والسنة النبوية؟
- (٢) ما أثر العدالة في تحقيق مقصد حفظ الكرامة الإنسانية؟
- (٣) ما أثر العدالة في تحقيق مقصد حرية المعتقد وحرية التعبير عن الرأي؟
- (٤) ما أثر العدالة في تحقيق مقصد التكافل الاقتصادي؟
- (٥) ما أثر العدالة في تحقيق مقصد التعارف والتعايش؟

ثالثاً: أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في تسليط الضوء على أحد أهم مبادئ الإسلام إن لم يكن المبدأ المهيم على رأس القيم والمبادئ الإسلامية، وهو مبدأ غائب عن المشهد الحوارى الحضارى اليوم مع أهمية وجوده وضرورة حضوره الفاعل والمؤثر فى مجالات الحوار المختلفة بغية تحقيق مقاصد كثيرة تترتب عن هذا الحوار الذى يتأسس على مبدأ مهم كمبدأ العدالة كما كان فى عهد النبى -صلى الله عليه وسلم- والعصور الإسلامية اللاحقة التى تمسكت بمنهج الكتاب والسنة فى مجال الحوار مع الذات والآخر.

ولذلك تتبين أهمية هذا البحث فى التأسيس لحوار إنسانى وحضارى يرتكز على مبادئ وقيم إنسانية سامية من أهمها مبدأ العدالة، لتحقيق مقاصد إنسانية وحضارية مختلفة كحفظ الكرامة الإنسانية وإرساء دعائم التعارف والتعايش الإنسانى المتكامل بغض النظر عن الدين والجنس والعرق واللون والثقافة.

رابعاً: الدراسات السابقة

١. علي محمد الصلابى، العدالة من المنظور الإسلامى، (٢٠١٤م)^(١): تهدف هذه الدراسة إلى بيان مفهوم العدالة والذى يعدها المؤلف من المفاهيم الأساسية فى فلسفة الحقوق والسياسة، كما تهدف إلى التركيز على مفهوم العدالة بوصفها القيمة المركزية فى المنظومة السياسية المركزية، وإبراز قيمة العدل فى التصور الإسلامى، وأن العدل مقصد قرآنى ومبدأ إنسانى، وتوصلت الدراسة إلى نتائج، كان أهمها: أن قيمة العدل مطلقة وربانية، لها سمات وملامح تميزها عن غيره مثل الخيرية والوسطية، أمر بها القرآن الكريم، وتعد من مقاصده.

(١) الصلابى: علي محمد، العدالة من المنظور الإسلامى، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ٢٠١٤م).

وتتشترك هذه الدراسة مع البحث في بيان مفهوم العدالة في المنظور الإسلامي، وهو المنطلق الذي ينطلق منه البحث ليكون بمثابة الأساس الذي يُبنى عليه مضمون البحث ومقاصده، وتختلف هذه الدراسة مع البحث في المجال الذي كُتب من أجله، فدراسة الصلاحي تتحدث في المجال السياسي، الحقوقي، القانوني، بينما هذا البحث يتناول جميع الجوانب الاجتماعية، والإنسانية، والسياسية، والاقتصادية.

٢. مطالبسي حمي نور الدين، سؤال العدالة ومبدأ احترام الحق الإنساني^(١): تهدف

هذه الدراسة إلى جمع أجوبة أرسطو وأفلاطون حول سؤال العدالة، ويحاول المؤلف المقارنة والتحليل بين تلك الأجوبة.

وتتشترك هذه الدراسة مع بحثنا في أهمية العدالة في ضمان الحق الإنساني، وعلاقة العدالة في استمرارية الإنسانية، وتختلف هذه الدراسة مع البحث في احتوائها على الجانب الفكري الفلسفي الذي تبناه أرسطو وأفلاطون في تجربة تطبيق مبدأ العدالة من خلال النظريات، ولم يكن لها أثرها الواسع في البيئة الغربية، بينما بحثنا يتمثل في دراسة مقصد العدالة في ضوء الشريعة الإسلامية.

٣. عائشة أوهاب، موقع الإنسان بين مفهومي العدل في المسيحية والإسلام، جامعة

البويرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية^(٢): تهدف الدراسة إلى بحث مفهوم العدالة والإحسان والمحبة في الإسلام والمسيحية، ومدى اتساق المفهوم مع مقصد الدين وفطرة الإنسان، ويتبع المؤلف المنهجية الوصفية التحليلية، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة نتائج، أهمها: أن العدل في

(١) مطالبسي: حمي نور الدين، سؤال العدالة ومبدأ احترام الحق الإنساني، رسالة دكتوراة، (الجزائر: جامعة بن أحمد وهران، د.ط، د.ت).

(٢) أوهاب: عائشة، موقع الإنسان بين مفهومي العدل في المسيحية والإسلام، (الجزائر: جامعة البويرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد الثامن عشر، د.ت)، ص ٣٧٨.

الإسلام والمسيحية يتصف بالشمول والإطراد، فالعدل لا يتأثر بالحب والبغض ولا يميل مع الهوى، كما أنه مطلق وعام، "يبدأ بالذات وينتهي إلى المخالف والعدو".

وتتشترك هذه الدراسة مع بحثنا في بيان مفهوم العدل في الإسلام وبذلك فإن هذه الدراسة عقدت مقارنة لبيان موقع الإنسان في ضوء مفهوم العدل في المسيحية والإسلام بينما بحثنا يقصد منه بيان مفهوم العدل في المنظور الإسلامي وأثره في تحقيق مقاصد إنسانية عظيمة تتجاوز بيان موقع الإنسان.

٤. سهام حمادي، مقصد العدل وأثره في رعاية حقوق الإنسان، (٢٠١٨م)^(١): تهدف

الدراسة إلى الجواب على سؤالين، هما: ما العلاقة بين مقصد العدل وحقوق الإنسان؟ وما دور العدل في الحفاظ على حقوق الإنسان؟ كما أن للدراسة نتائج، أهمها: "أن العدل شامل لكل مجالات الحياة، فليس مختصاً بالجانب التشريعي والقضائي فحسب"، وأن مقصد العدل يعد من "المقومات الأساسية" لرعاية حقوق الإنسان.

تتشترك هذه الدراسة مع بحثنا في بيان مفهوم العدل وأثره في بعض مجالات الحياة فكانت هذه الدراسة مقصورة على بعض الحقوق وهي حق الحياة والحرية والمساواة، بينما جاء بحثنا ليدرس أثر العدالة في تحقيق مقاصد لم تتضمنها دراسة سهام حمادي.

وإضافة لما تقدم فإن هذا البحث يضيف على الدراسات السابقة كيفية توظيف مبدأ العدالة في المنظور الإسلامي وبيان أثره في تحقيق مقاصد الحوار الحضاري المختلفة، وسأركز على خمسة مقاصد، وهي: حفظ الكرامة الإنسانية، وتحقيق حرية المعتقد، وحرية الرأي والتعبير، وتحقيق التكامل الإقتصادي، وأخيراً تحقيق التعارف والتعايش.

(١) حمادي: سهام، مقصد العدل وأثره في رعاية حقوق الإنسان، (الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، د.ط، ٢٠١٨م).

أما الإضافة الثانية فتتجلى في بيان أثر ترسيخ مبدأ العدالة في نفوس المتحاورين على اختلاف أديانهم وحضاراتهم وثقافتهم، وأثره في تحقيق المقاصد المترتبة على الحوار.

خامساً: منهجية البحث

لأجل معالجة الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة وتحقيق الأهداف المرجوة منها والوصول إلى نتائج معتبرة اتبعت المناهج العلمية الآتية:

أولاً: المنهج التاريخي: من خلال رصد الأحداث التاريخية كمواقف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في تطبيق العدالة، ووثيقة المدينة، ووثيقة عمر لأهل إيلياء، والحكم الإسلامي في الأندلس، والخلفية التاريخية الغربية لمصطلح حرية المعتقد.

ثانياً: المنهج الوصفي: من خلال وصف مقاصد الحوار الحضاري، ووصف المفاهيم المتعلقة بالدراسة كالعدالة والحوار والحضارة.

ثالثاً: المنهج الاستنباطي: من خلال اختيار المقاصد الخمسة لمقاصد الحوار الحضاري وتتبع أثر العدالة في تحقيقها.

سادساً: خطة البحث

يأتي هذا البحث في: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

المقدمة: تشتمل على أهمية البحث وأهدافه والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطة.

التمهيد، ويشتمل على:

- أولاً: مصطلحات الدراسة.

الفصل الأول: العدالة في المنظور الإسلامي وأهميتها في تحقيق الحوار مع

الذات والآخر:

ويشتمل على أربعة مباحث:

- المبحث الأول: العدالة في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: العدالة في السنة النبوية.
- المبحث الثالث: العدالة في الفكر الإسلامي.
- المبحث الرابع: أهمية العدالة في تحقيق الحوار مع الذات والآخر.

الفصل الثاني: أثر العدالة في تحقيق مقاصد الحوار الحضاري:

ويشتمل على ستة مباحث:

- المبحث الأول: التأسيس لمقاصد الحوار الحضاري.
- المبحث الثاني: أثر العدالة في تحقيق مقصد حفظ الكرامة الإنسانية.
- المبحث الثالث: أثر العدالة في تحقيق مقصد حرية المعتقد.
- المبحث الرابع: أثر العدالة في تحقيق مقصد حرية التعبير عن الرأي.
- المبحث الخامس: أثر العدالة في تحقيق مقصد التكافل الاقتصادي.
- المبحث السادس: أثر العدالة في تحقيق مقصد التعارف والتعايش.

الخاتمة، وتشتمل على:

النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

التمهيد

مصطلحات الدراسة

١. مفهوم العدالة:

العدالة لغةً: من عدل، "والعدالة والمعادلة لفظٌ يقتضي معنى المساواة ويستعمل باعتبار المضايقة والعدل يتقاربان، لكن العدل يستعمل فيما يُدرك بالبصيرة كالأحكام، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ (المائدة: ٩٥)"^(١).

وهناك فرق بين العدل والمساواة: "ويقتضي العدل المساواة حينما يكون واقع الأفراد واقعًا متساويًا تمامًا في كل الصفات، من جهة التي يراد إقامة العدل فيها، فالمساواة حينئذٍ تكون من العدل ضمن حدود الجهة التي أقيم فيها العدل"^(٢).

وَعَدَلٌ: عدلاً، وَعُدُولًا: مال، وَعَدَالَةٌ، وَمَعْدِلَةٌ: استقام، وَالْعَدْلُ: الإنصاف، وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه، وَالْعَدْلُ: المثل والنظير، والعدالة في الفلسفة: إحدى الفضائل الأربعة التي سلّم بها الفلاسفة من قديم، وهي: الحكمة، والشجاعة، والعفة والعدالة.^(٣)

والعدل في اللغة معناها ضد الجور^(٤)، ويقال (عَدَلَ) عليه في القضية من باب ضَرَبَ فهو (عادلٌ)، وقال: "العَدْلُ بالكسر المثلُ، و(العَدْلُ) بالفتح أصله مصدر قولك: (عدلتُ) بهذا

(١) الراغب الأصفهاني: أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، (مكة: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، د.ط، ٢٠٠٩م)، ج ١، ص ٤٢٢.

(٢) الميداني، عبد الرحمن بن حسن حنكة، نظام الخلق خاضع لسنة التفاضل لا المساواة، بحث في مجلة التوعية الإسلامية، العدد: ١، دمشق: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٠م، ص ٣٤.

(٣) أنيس: إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، ٢٠٠٤م)، ج ١، ص ٥٨٨.

(٤) الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، (بيروت: مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٨٦م)، ج ١، ص ١٧٦.

(عدلاً) حسنًا، وقال الفراء: (العَدْلُ) بالفتح ما عدل الشيء من غير جنسه، و(العَدْلُ) بالكسر المثل. (١)

والعدل: المرضي من الناس قولُهُ وحُكْمُهُ، هذا عدلٌ، وهم عدلٌ (٢)، والفرق بين العَدْلِ والعَدْلِ (٣): أن العَدْل - بالكسر - المثل؛ تقول عندي عدلٌ جاريتك، فلا يكون إلا على جارية مثلها، والعَدْل من قولك: عندي عدلٌ جاريتك فيكون على قيمتها من الثمن، ومنه قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (المائدة: ٩٥).

أما مفهوم العدالة في اللغة عند الجرجاني: الاستقامة، وكذلك في الشريعة يُعرفها بأنها: الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا، أما العدل فهو عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وقيل العدل مصدر بمعنى العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، والميل إلى الحق. (٤)

والعدالة اصطلاحًا: "عبارة عن استقامة السيرة والدين ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس، تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعًا" (٥) كما عرف بأنه: "إنصاف الغير بفعل ما يجب له ويستحق عليه وترك ما لا يجب عليه" (٦).

وتوجد مصطلحات أخرى تلتقي مع مصطلح العدالة في بعض المعاني، من أمثلة ذلك الإنصاف، القسط، الحق، والسواء.

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٦.

(٢) الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٣م)، ج ١، ص ١١٠.

(٣) العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبو هلال، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة، ط ١، د.ت)، ج ١، ص ١٥٥.

(٤) الجرجاني: علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، (القاهرة: دار الفضيحة، ط ١، ١٤١٣هـ)، ج ١، ص ١٢٤.

(٥) الغزالي: محمد، المستصفي من علم الأصول، (السعودية: المدينة المنورة للطباعة، د.ط، ٢٠٠٨م)، ج ١، ص ٢٣١.

(٦) البصري، محمد بن علي الطيب، المعتمد في أصول الفقه، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ج ٢، ١٤٠٣هـ، ص ١٣٣.

٢ . مفهوم الحوار:

الحوار في اللغة: حَوَّرَ، والحَوْرُ الرجوع إلى الشيء وعنه، والمحاورة مُراجعة الكلام^(١)، وفي القاموس الحَوْرُ الرجوع^(٢)، والحَوْر "التردد إما بالذات وإما بالفكر.. والمحاورة والحوار المُرادّة في الكلام ومنه التّحاور، قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ٩)"^(٣) فأغلب المعاني تدور حول معنى: الرجوع.

الحوار في الإصطلاح: مفهوم الحوار الذي يناقشه البحث هو ما ذكرته سناء محمد بأن الحوار ليس مجرد مناوبة أو تناوب^(٤) وإنما يقوم على أبعاد معرفية، وهي ثلاثة أبعاد: "بُعد المعرفة (ذي صبغة إبستمولوجية): وشرطه أن يكون بلا واسطة وأن يكون مباشرة، وبُعد التعارف (ذي صبغة سوسيولوجية): وشرطه أن يجري في مناخ ودي وسلمي، وبُعد الاعتراف (ذي صبغة أكسيولوجية): وشرطه أن يأتي طوعاً لا كرهاً وحقيقياً" ^(٥).

وهناك فرق بين الحوار والجدال؛ والجدال ينقسم إلى قسمين؛ جدال محمود، وجدال مذموم، فالجدال المذموم يكون بالخصومة ويتسم بالتعصب والتمسك بالرأي والعناد، بينما المحاورّة والحوار: "مراجعة الكلام والحديث بين طرفين، ينتقل من الأول إلى الثاني ثم يعود إلى الأول وهكذا، دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل على وجوب الخصومة"^(٦).

٣ . مفهوم الحضارة:

-
- (١) الفراهيدي: العين، مرجع سابق، ص ٣٧٠.
 - (٢) الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨، ٢٠٠٥م)، ص ٣٨٠.
 - (٣) الراغب: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص ١٧٧-١٧٨.
 - (٤) سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار: بين الأصالة والمعاصرة، (عالم الكتب، ط١، ٢٠١٣م)، ص ١٤٢.
 - (٥) مقبول، إدريس، الحوار الحضاري، دراسة في النظام المعرفي والقيمي القرآني، البحث الثاني الفائز بجائزة قطر لحوار الحضارات ٢٠١٨م، ص ٢٦-٢٧. ق: ٣ب
 - (٦) عجك: بسام داوود دعجك، الحوار الإسلامي المسيحي، ص ١٤.

يُعدّ مفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم التي أثارت جدلاً كبيراً بين المفكرين والفلاسفة في أكثر من قرن، وهذا ما أدى إلى اختلافهم في شرح معنى الحضارة وإرساء مفهوم واحد في الفضاء الفكري العام، فالحضارة في اللغة العربية مشتقة من الحضر، "وهي خلاف البدو، والحاضر: خلاف البادي، وفي الحديث لا يبع حاضر لباد؛ الحاضر: المقيم في المدن والقرى، والبادي: المقيم بالبادية."^(١)

أما مفهوم الحضارة في الاصطلاح: عرّفها ابن خلدون في مقدمته - بأنها: "تفنن في الترف وإحكام الصنائع - وهي الصناعة - المستعملة في وجوهها ومذاهبها من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية، وسائر عوائد المنزل وأحواله، فكل واحد منها صنائع في استجادته، والتأنق فيه، تختص به ويتلو بعضها بعضاً، وتتكرر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتتعم بأحوال الترف، وما تتلون به من العوائد."^(٢)

أما مفهوم الحضارة في الأدبيات الغربية، فيعرفها ويل ديورانت بأنها: "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخُلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق؛ لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعد ذلك لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وإزهارها."^(٣)

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٩٧

(٢) ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، (دمشق: دار يعرب، ط ١، ٢٠٠٤م)، ص ٣٣٨

(٣) ديورانت: ويل، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، (بيروت: دار الجيل، د. ط، د.ت)، ج ١، ص ٣

٤ . مفهوم حوار الحضارات: "هو ذلك الحوار الذي يتم بين الحضارات بتوسط

المنتمين إليها سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، وسواء كان حوار كلامياً أم حوار غير كلامي، ومنظماً أو غير منظم، وفي أي مجال كان وذلك لهدف موضوعي"^(١).

٥ . المقصد: من قصد، فهو "غاية، فحوى مقصدي من فعل كذا مساعدته، مقاصد

الشريعة: الأهداف التي وضعت لها، مقاصد الكلام، ما وراء السطور أو ما بينها"^(٢). فمقاصد الحوار الحضاري هي الغايات المرجوة من هذا الحوار.

(١) المصعبي، عبد الملك منصور حسن، حوار الحضارات: المفهوم والمقومات، أعمال ندوة موقع الإسلام في القيم الكونية وحوار

الحضارات، تونس: جامعة الزيتونة، ٢٠٠٥م، ص ٢٠

(٢) معجم اللغة العربية، جامعة بير زيت، <https://cutt.ly/YYnZnuE>

الفصل الأول: العدالة في المنظور الإسلامي

يأتي هذا الفصل ليلقي الضوء على العدالة في المنظور الإسلامي، ببيان هذا المبدأ في نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومن ثم التطرق إلى دراسة المفهوم في الفكر الإسلامي، وصولاً إلى أهميته في تحقيق الحوار مع الذات والآخر.

المبحث الأول: العدالة في القرآن الكريم

يُعنى هذا المبحث بدراسة العدالة في القرآن الكريم بالتعرض إلى مفردات المفهوم ودلالاته في القرآن، وكيف أنه يشير إلى الذات العلية سبحانه، كما يتطرق المبحث إلى بيان أهمية ومنزلة العدالة في القرآن وحث القرآن عليها.

المطلب الأول: مفردات العدالة في القرآن الكريم

إن من أسماء الله - سبحانه وتعالى - العدل؛ فهو العادل بين مخلوقاته كلهم، فقد اتصف الله - عز وجل - بالعدل، فمن آثار عدله - سبحانه وتعالى - إرسال الأنبياء والمرسلين لتبليغ دعوة الإسلام؛ ولبيان شرع الله - سبحانه وتعالى - وأن الله واحد لا شريك له، ولم يترك العبيد سدىً وهملاً؛ بل أرشدهم للطريق الصحيح من خلال الرسل والأنبياء على مر القرون.

وأدى الرسل واجبهم في إرشاد الناس إلى الإله الحق، وأرسل لكل قوم رسول منهم، يفهمون لغته ويفهمهم، ويعرف أمور قومه، وحدود المجتمع الذي فيه، ومن رحمة الله - سبحانه وتعالى - تنزيل القرآن الكريم على محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، وجعل القرآن الكريم مصدرًا للتشريع الإسلامي، ومرجعًا يرجع إليه المسلمون لمعرفة دينهم، وما يترتب عليهم من حقوق وواجبات، فكان القرآن الهدى والمنارة التي يهتدي إليها الضال، ومن عدل الله - سبحانه وتعالى - أن جعل مبدأ العدالة من أهم مبادئ الدين، وركيزة من ركائز الإسلام، واهتم القرآن الكريم بمبدأ العدالة ودعا إليها في آياته، وسوره العظام، وقد ورد لفظ العدالة ومرادفاتها ومشتقاتها؛ مثل: القسط، والسواء، والحق.

ولفظ (عدل) جاء في إحدى عشرة سورة هي: البقرة، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والنحل، والنمل، والشورى، والحجرات، والطلاق، والانفطار.

وأربع وعشرين آية، قال تعالى:

- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ٤٨).

- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ١٢٣).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

- ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء: ٣).

- ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).

- ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (النساء: ١٢٩).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٣٥).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

- ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (المائدة: ٩٥).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (المائدة: ١٠٦).

- ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (الأنعام: ٧٠).

- ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام: ١١٥).

- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَفُّ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

- ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٩).

- ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨١).

- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: ٧٦).

- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

- ﴿وَأَمَرْتُ لِعَدْلِ بَيْنِكُمْ اللَّهُ رَبَّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى: ١٥).

- ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاعَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩).

- ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾
(الطلاق: ٢).

ومن خلال استعراض الآيات فقد تكرر لفظ عدل في القرآن الكريم أربعة وعشرين مرة، وفي إحصائية المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم جاء ذكر لفظ عدل ومشتقاتها في ثمانية وعشرين موضعاً في القرآن الكريم، وهي: "فَعَدَلْكَ، لِأَعْدِلَ، تَعْدِلُ، تَعْدِلُوا: وقد تكررت هذه المفردة أربع مرات في سور مختلفة، يَعْدِلُونَ: وقد تكررت هذه المفردة خمس مرات، اَعْدِلُوا: وقد تكررت مرتين، عَدْلٌ: وهي أكثر المفردات وروداً في القرآن؛ فقد تكررت ثلاث عشرة مرة، وَعَدَلًا"^(١).
الله سبحانه وتعالى المتصف بالعدل، من أسمائه العدل، فهو العدل-سبحانه- ويأمر الناس بالعدل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ (الأعراف: ٢٩)، ويجازيهم سبحانه وتعالى يوم القيامة بالعدل: ﴿يَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ (يونس: ٤)، ويجازي أيضاً الذين كفروا بالقسط: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس: ٥٤)، ويتوعد الله -سبحانه وتعالى- من يحارب ويقتل من يأمر بالقسط بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: ٢١).

كما يقسم الدامغاني العدل على خمسة أوجه^(٢) وهذا بحسب ما جاءت لفظة العدل في القرآن الكريم، فجاءت بمعنى (الفداء)، لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ٤٨)، أما الوجه الثاني

(١) عبد الباقي: محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ط، ١٣٦٤هـ)، ص ٤٤٨-٤٤٩.
(٢) الدامغاني: الحسين بن محمد الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٣م)، ص ٣١٧-٣١٨.

للفظ العدل جاءت بمعنى (الإنصاف)، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ بَدَأْتُكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ (النساء: ٣)، والثالث: جاءت بمعنى (القيمة)، لقوله تعالى: ﴿أَوْ عَدُلْ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ (المائدة: ٩٥)، أما الوجه الرابع: شهادة أن لا إله إلا الله أي بمعنى (التوحيد) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، أما الوجه الخامس: العدل بمعنى الشرك لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: ١).

ويذكر ابن منظور في لسان العرب أن لفظ العدل في القرآن الكريم جاء على أربعة

أقسام:

القسم الأول: العدل في الحكم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا

بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).

والقسم الثاني: العدل في القول، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ (الأنعام: ١٥٢).

وأما القسم الثالث: العدل بمعنى الفدية، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ (البقرة:

١٢٣).

والقسم الرابع: العدل في الإشراف، قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

(الأنعام: ١)^(١).

أما مفردات العدل؛ فقد ورد لفظ (قسط) في القرآن الكريم اثنين وعشرين مرة، ولفظ (سواء)

سبعة وعشرين مرة، أما لفظ (الحق) فقد وردت في القرآن الكريم مائة وثمانين مرة، يقول الله

سبحانه وتعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام:

(١) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ج ١١، ص ٤٣١-٤٣٢.

(١١٥)، وجاء في تفسير هذه الآية: "أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأمر والنهي، فلا أصدق من أخبار الله التي أودعها هذا الكتاب العزيز، ولا أعدل من أوامره ونواهيه"^(١).

ووردت لفظة القسط في القرآن الكريم في ثلاث عشرة سورة، وفي ستة عشر آية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٥).

(١) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٣م)، ص٢٤٨.

المطلب الثاني: منزلة العدالة في القرآن الكريم.

القرآن الكريم واضح في بيان مبدأ العدالة والدعوة إليه، كما حذر من القيمة المضادة له وهي الظلم؛ وهذا من كمال عدل القرآن الكريم التحذير من القيمة المضادة، كما أن القرآن لم يجعل الإنسان تائهاً أمام نصّه؛ بل كان واضحاً في الدعوة إلى العدالة، والتحذير من الظلم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يونس: ١٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (إبراهيم: ٤٢)، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَفْرَى أَهَلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ (الكهف: ٥٩)، فإن تكرار مفهوم العدالة في القرآن الكريم يبيّن لنا مدى اهتمام القرآن الكريم بموضوع العدالة.

واشتمل القرآن الكريم على العدالة، وبيّن للقارئ أن لها مجالات مختلفة وجب على المسلم أن يقف عليها، ويتعلم منها العدل، فنرى العدالة في الحكم بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨)، والعدل مع النفس، وهي عدم الشرك بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣). والعدالة مع فئات الناس المختلفة، إذ أوصى الله - سبحانه وتعالى - بالعدل مع اليتامى، فقال عز وجل: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٢٧).

المبحث الثاني: العدالة في السنة النبوية

خص الله سبحانه وتعالى أمة النبي المصطفى بالعدل والوسطية، ونص القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٤)، وهذه الآية دليل على خيرية الأمة.

وجاء في الحديث، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: "يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم، أي رب. فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وسلم وأمته. فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، والوسط: العدل^(١).

واشتملت السنة النبوية على الأحاديث التي تدعو إلى العدالة، وتدفع المسلمين بأن يعدلوا مع غيرهم، وقد وعد الله المقسطين يوم القيامة بالمكانة العالية؛ وهي أن يكونوا على منابر من نور، قريبين من عرش الرحمن، فقد جاء في الحديث جزاء العادل،: " عن عبد الله بن عمرو قال ابنُ ثُميرٍ وأبو بكرٍ: يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وفي حديثٍ زهيرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ، عِنْدَ اللَّهِ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكُنَّا يَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَمَا وَلُوا»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجنّدة، رقم: ٣٣٣٩، ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح البخاري، (دمشق: دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٢م)، ص ٨٢٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم: ١٨٢٧، ينظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، (السعودية: دار طيبة، ط١، ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ٨٨٦.

وتؤكد السنة النبوية من خلال الأحاديث الشريفة مكانة العدالة في الإسلام، وأهمية العدالة؛ وعظمتها في الإسلام، وجاء تقديم الإمام العادل على الشاب الصالح، والرجل الخاشع، والرجل المعلق قلبه بالمسجد، ففي حديث سبعة يظلمهم الله في ظله أولهم الإمام العادل، يرويه لنا أبو هريرة -رضي الله عنه-، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: سبعة يُظلمهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله: إمامٌ عادلٌ وشابٌّ نشأ في عبادةِ الله، ورجُلٌ ذكر الله في خلاءٍ ففاضت عيناه، ورجلٌ قلبه معلقٌ في المسجد، ورجُلانٌ تحابَّبا في الله، ورجُلٌ دعتَه امرأةٌ ذات مناصبٍ وجمالٍ إلى نفسها قال إني أخافُ الله، ورجُلٌ تصدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأخفاها؛ حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه^(١)، فهذا الحديث يؤكد على أهمية العدالة ومكانتها في الشريعة الإسلامية.

كما اشتملت الأحاديث النبوية الدعوة إلى العدالة، وترك ظلم الإنسان، فعن أبي ذر، عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى، أنه قال: «يا عبادي، إني حرمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُهُ بينكم مُحَرَّمًا فلا تظالموا»^(٢)، وعن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «انفُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَانفُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»^(٣).

إن الأحاديث المشتملة على العدالة؛ وهي كثيرة، ترغِّبُ القارئ والإنسان المسلم أن يلتزم بالعدالة؛ لما فيها من الوعد بالجزاء الحسن في الدنيا والآخرة، والجمع بين أجرين، وتحصيل الأجر في الدنيا والآخرة، كما تعزز الأحاديث النبوية من مكانة العدالة وتحذّر من عاقبة الظلم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش، رقم: ٦٨٠٦، ينظر: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص ١٦٨٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم: ٢٥٧٧، ينظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفارياي أبو قتيبة، (السعودية: دار طيبة، ط ١، ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ١١٩٨.

(٣) المرجع السابق، ح: ٢٥٧٨، ص ١١٩٩.

وإضافةً لما جاء في الأحاديث النبوية من تعزيز مكانة العدالة والتحذير من الظلم، فقد جاءت المواقف في عهد الرسول ﷺ تبين تعامله بها وتثبت عدالته ﷺ، ومنها: ما جاء في الحديث: «عن عائشة أن أسامة كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ فِي امْرَأَةٍ، فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا يُؤَيِّمُونَ الْحَدَّ عَلَى الْوَضِيعِ وَيَبْزُكُونَ الشَّرِيفَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ فَعَلَتْ ذَلِكَ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»^(١).

ففي هذا الحديث بيان لعدالة النبي ﷺ وعدم التحيز لأهله أو لأصحابه في المشاكل التي تحتاج لقضاء وحكم، فالحكم عند الرسول ﷺ يشمل الجميع دون استثناء أو نقصان في حق المظلوم، وبذلك يتبين أن للعدالة في السنة النبوية مكانة خاصة وأهمية قصوى تتمثل في تطبيقها، والتحذير من تركها؛ مما يجعل الظلم يحل محلها فيما لو غابت.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، رقم: ٦٧٨٧، ينظر: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص ١٦٨٠.

المبحث الثالث: العدالة في الفكر الإسلامي

اهتم الفكر الإسلامي بالأخلاق والقيم والمبادئ، إذ لم يغب عن الإسلام مبدأ العدالة في الفكر الديني، والسياسي، والاجتماعي، وكل مفكر كتب في فنه، ومحيط تخصصه، وسأركز في هذا المبحث على مفكرين تناولوا موضوع العدالة في كتاباتهم، وهما: ابن تيمية، وابن خلدون - رحمهما الله.

ومن ذلك ما كتب ابن تيمية متناولاً العدالة، إذ تحدث عنها كثيراً في مؤلفاته -رحمه الله- وزاد عليها تلميذه ابن القيم، فنجد ابن تيمية يكتب عن العدالة في الدولة، ويرى أن مبدأ العدالة لا بد أن تلتزم به الدولة أو السياسة الحاكمة؛ لأنها هي الأساس في دوام الحكم والأمن، فيقول ابن تيمية: "وأمر الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة"^(١)، وأرى بأن تعبير ابن تيمية عن العدالة كان واضحاً؛ إذ جعلها من الأمور التي تستقيم بها الناس، بل معياراً في استقامة البشرية ودوام الدول، وإن لم يقصد ابن تيمية خلال نصّه ارتباط العدالة بالسياسة فقط وإنما اشتراطها في قيام أمور الناس جميعاً، في الأمور السياسية، والاجتماعية، والدينية، وتمثل العمود، والمرتكز، والشريان لأي مجتمع.

ولذلك يذكر ابن تيمية أن مبدأ العدالة يتجاوز إطار الدين والبيئة الإسلامية لأنها مبدأ إنساني، ولا يشترط أن يقتصر تطبيق العدالة ودورها في المحيط الإسلامي، ولأن العدالة تحتاج لمن يؤمن بها ويعمل لها، ويسعى إلى تطبيقها، فالعدالة ترفع شأن الدول على اختلاف دياناتها؛

(١) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الدمشقي الحنبلي أبو العباس تقي الدين ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٧٦م)، ص ٤٠.

إذ إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، وتقوم على العدالة حضارة الدولة، بينما لو غابت عن أي مجتمع كان، وإن كان مجتمع إسلامياً فإن هذا المجتمع سينهار؛ وهذا ما يؤكد ابن تيمية فيقول: "الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام"^(١).

وتطرق ابن خلدون للحديث عن العدالة في مقدمته، فتناول الحديث عنها في إحدى فصول مقدمته، وارتباطها الوثيق بالحضارة والعمران، ويتفق مع ابن تيمية في أن الدولة التي لا تحكم بالعدل؛ سيحكمها الظلم، فالظلم كما ذكر ابن خلدون: سبب الخراب وهلاك العمران مهما كان شكل هذا العمران، ومهما كانت صبغته، فالظلم إن وجد خرب كل شيء، والعدالة إن وجدت في مجتمع ما قام هذا المجتمع وازدهر، وإن غابت عن مجتمع ما ضعف هذا المجتمع وخرب، فإن لم توجد العدالة فإن البديل لها بالطبع والظلم والطغيان، فالظلم يؤدي إلى خراب العمران كما قال ابن خلدون في مقدمته: "الظلم مؤذنٌ بخراب العمران"^(٢).

لذلك فإن الظلم أكثر ما يهدد الدول والحضارات والعمران فيما ذكر ابن خلدون، ويتمثل الظلم في عدم إعطاء صاحب الحق حقه، والتعدي على حقوق الآخرين، لاسيما أموالهم؛ لأن المال المصدر الأهم في قوام الحياة، فعندما لا يُعطى المال لأهله فإن ذلك يؤدي إلى الظلم الموصل لخراب العمران، فإن كان خراب العمران ينصلح، فإن انقطاع النوع البشري أشد مصيبةً؛ ولهذا فإننا أمام خيارين إما الخراب، وإما الفساد، وكلاهما لا يصلحان مع الإنسان والبناء الحضاري.

(١) المرجع السابق، ص ٤٠.

(٢) ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله الدرويش، (د.م، دار يعرب، ط١، ٢٠٠٤م)، ص ٤٠٦.

وتحريم الشريعة الإسلامية للظلم كان لحكمة ربانية يسردها لنا ابن خلدون في مقدمته قائلاً: "واعلم: أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه، وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري، وهي الحكمة العامة المراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة"^(١).

ونفهم من نص ابن خلدون عن الظلم: أن الإنسان والظلم لا يجتمعان؛ لأن الظلم سبب في انقطاع النوع البشري، لا سيما ذلك الذي يعمر الأرض، الفاعل في بناء الحضارة وعمارة الأرض، كما يتفق المفكر الإسلامي مالك بن نبي مع ابن خلدون على أن الإنسان أحد الأدوات والمكونات في تعمير أي حضارة، لذلك حرّم الله - سبحانه وتعالى - الظلم؛ حفاظاً على الإنسان من التلف، لأن العدالة تحفظ له، دينه، ونفسه، وعقله، ونسله.

والعدالة عند ابن خلدون: "وظيفة دينية تابعة للقضاء"^(٢) وهي وظيفة تابعة للقضاء، ولا شك أن القضاء يعتمد بشكل أساسي على الدين، ومنه يستمد أحكامه وتعاليمه، فالعدالة عند ابن خلدون - كما أشار إليها - ترتبط بالقضاء من ناحية إصدار الأحكام بين المتخاصمين؛ أي: تأخذ العدالة دور تسوية النزاعات، والعمل على تحقيق الحكم المناسب للطرفين.

(١) المرجع السابق، ص ٤٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠٦.

المبحث الرابع: أهمية العدالة في تحقيق الحوار مع الذات والآخر

تأكيد المرجعية الإسلامية على مبدأ العدالة، ونبذ الظلم، جعل من المسلم المتلقي للوحي يتصرف بصورة واضحة، تحت منظومة دينية متكاملة؛ لذا من المهم وضوح الرؤية في المرجعية الدينية، ونجحت المرجعية الإسلامية في ترسيخ مبدأ العدالة في نفوس المسلمين، وهذا من خلال آيات الله - عز وجل - التي تأمر الناس بالعدل، ومن تطبيقات الرسول ﷺ، والصحابة - رضي الله عنهم -، فقد قدموا للمسلمين نماذج حيّة وواقعية في تطبيق العدالة.

إن دور -الحوار مع الذات- في تأصيل الشخصية الحوارية، والتي تنتج عنها مبادئ الحوار كالتفاهم هو المؤهل للحوار مع الآخر، وقدرة حوار الإنسان لذاته في استيعاب الآخر، ومحاورته، فيصف الهيئتي الحالة التي يجب عليها أن تكون حوارنا مع الآخر من حيث الجذور، والبناء الداخلي.

فممارسة الحوار مع الذات خطوة أولية للحوار مع الآخر، وهي مرحلة يجب أن يمر بها المحاور الجيد في الحوار مع الآخر، وغياب الحوار الداخلي-الحوار مع الذات- يؤدي إلى عدم فهم الآخر، وعليه فإن على الأمة أن تتدرّب، وتعوّد أبناءها على الحوار الداخلي قبل أن تخرج للعالم: "إن هذا النوع من الحوار الذي يمكن أن نطلق عليه «الحوار الداخلي» هو خطوة أولى نحو الحوار مع الخارج؛ لأنه يقوّي النسيج الوطني بين أفراد الأمة، ويكسب المجتمع مناعة للتعامل مع العالم المحيط بنا، ذلك أننا لا يمكن أن نفلح في الحوار مع العالم ما لم نفلح في الحوار مع أنفسنا"^(١).

(١) الهيئتي: عبد الستار إبراهيم، الحوار الذات والآخر، ص ١٠٨.

واتخذ الرسول -صلى الله عليه وسلم- الحوار كمنهج تربوي ربي الصحابة والأمة عليه:
"تتعدد المناهج التربوية النبوية، وتأخذ صوراً عدة، ولكن يبقى الحوار أساس هذه المناهج"^(١)
ويتضح ذلك في حديث من المفلس، "عن أبي هريرة-رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (أندرون ما المفلس؟) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: (إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار)^(٢).

وتكمن أهمية الحوار في الوصول إلى الإنسان، فالإنسان يتحاور مع نفسه ابتداءً، والحوار مع الذات يبدأ بتربية الناشئة على قيمة العدل، وهي التنشئة الاجتماعية في علم الاجتماع، وهو ما حرص عليه الرسول □ مع صحابته والمسلمين، في غرس العدل في نفوسهم، من خلال تطبيقاته عليه الصلاة والسلام، فإقامة العدل في النفس البشرية تدفع بالإنسان بالتفكير في ذاته، وذات من حوله، وخاصة إذا كانت المدخلات لهذه النفس مدخلات تعزز من مكانة العدالة، والحوار مع الآخر، وبعد عملية الترسخ والغرس تبدأ النفس البشرية الشعور بالعدل، والإحساس بالعدالة في النفس، فيحملها على السلوك العادل مع غيرها.

ومن ثم فإن المدخلات الذهنية لدى فكر الإنسان هي التي تحدد الفكرة العامة عن أي شيء، وللتنشئة الاجتماعية دور كبير في غرس قبول الآخر لدى الأبناء أو الطلاب أو المجتمع، ويبدأ في التساؤل: ما الانطباعات والأفكار التي أخذها الإنسان عن الآخر؟ وهذا الانطباع يتشكل عند الفرد منذ صغره وحتى يكبر.

(١) الفيبي، موسى بن يحيى، الحوار أصوله وآدابه، وكيف نربي أبنائنا عليه؟، المدينة المنورة: دار الخضير، د.ط، ١٤٢٧هـ، ص ٢١
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب البر والصلة والآداب، رقم: ٢٥٨١، ص ١١٩٩-١٢٠٠ مرجع سابق

وعليه فإن مفهوم الحوار مع الذات في الإسلام من المفاهيم المهمة؛ فمسألة أن يحاور الإنسان ذاته هي مسألة في غاية الأهمية في الإسلام، ويعزز من قيمتها الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما قال: «الكَيْسُ من دانَ نفسه، وَعَمَلَ لِمَا بعدَ الموتِ، والعاجزُ من أتبعَ نفسه هواها وتمنى على الله»^(١)، ودان نفسه أي: حاسب نفسه، وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا"^(٢).

"وإذا كان الاحترام المتبادل هو المنطلق الأول للحوار فإن الإنصاف والعدل هو المنطلق الثاني، ولنا في التوجيه القرآني قاعدة ثابتة وهداية دائمة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨)، فالعدل هو أساس الحوار الهادف، الذي ينعف الناس ويمكث أثره في الأرض ويستدعي الاعتراف بالفضل لذويه، ويعمل على إقرار الحق حتى ولو يكن في صالح جميع الأطراف."^(٣)

وبناء على ذلك فإن للعدالة دورا في تحقيق الحوار مع الذات والآخر، فهي المحرك للحوار، ومنها ينطلق الإنسان ليحاور نفسه ابتداءً ثم محاورة الآخرين، فمبدأ العدالة إذا ترسخ في النفس أصبحت النفس تحاور نفسها محاورة ذاتية، وقد أقسم الله -عز وجل- بهذه النفس في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢)، والنفس اللوامة هي النفس التي تلوم نفسها على الخير والشر، فهي دائما في مراجعة مع تصرفاتها.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ٩، رقم: ٢٤٥٩؛ ينظر: الترمذي: أبي عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، المجلد الرابع، ط ١، ١٩٩٦م)، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٧.

(٣) الهيتي، عبد الستار إبراهيم، الحوار الذات والآخر، مرجع السابق، ص ١٠٨.

الفصل الثاني: أثر العدالة في تحقيق مقاصد الحوار الحضاري

إن العدالة في المنظور الإسلامي من المبادئ المهمة في سُلّم المبادئ الكبرى، وعلى رأس المبادئ التي يأمر بها الشرع، ويحذر من عدم الاتصاف بها، وهذا ما تحدثنا عنه في الفصل الأول، وهو الممهّد للفصل الثاني للبحث الذي سنركز فيه على أثر العدالة في تحقيق مقاصد الحوار الحضاري.

وسنلقي الضوء على خمسة مقاصد، وهي: حفظ الكرامة الإنسانية، وتحقيق حرية المعتقد، وتحقيق حرية التعبير عن الرأي، وتحقيق التكافل الاقتصادي، وأخيراً تحقيق التعارف والتعايش، واخترت هذه المقاصد بناءً على دراسة الواقع أولاً، واحتياجاته في تحقيق هذه المقاصد من خلال حوار الحضارات، وبناءً على ما تم دراسته سابقاً لمقررات التخصص فإن إحدى غايات الحوار الحضاري هو تحقيق التعارف والتعايش، وثانياً؛ تم اعتماد هذه المقاصد بناءً على مكونات الحضارة الخمسة وهي: الدين، والإنسان، والجانب المادي، والجانب المعنوي، والنموذج.

المبحث الأول: التأسيس لمقاصد الحوار الحضاري

إن التفكير في حال الحضارات والأحداث التي أدت إلى بناءها، وتشكيل حضارة ما؛ نجد بأن عملية البناء الحضاري تحتاج لمكونات أساسية؛ فالحضارة عبارة عن مجموعة من المكونات المادية والروحية. واختلف المفكرون في تحديد هذه المكونات، فنجد مالك بن نبي يحددها في ثلاثة عناصر؛ وهي: الإنسان، والتراب، والوقت. يرى مالك بن نبي أن الحضارة أساسا ليست عملية تكديس لمنتجات حضارية، وإنما هي "مركب اجتماعي يشمل ثلاثة عناصر فقط"^(١). ولكن المعادلة هذه يعتبرها مالك بن نبي ناقصة بناء على شروط التاريخ؛ فإن التاريخ حدد مركب يدخل في تركيب العناصر الثلاثة السابقة، وكان له أثره الواضح، وهو مركب الدين. إذاً من المكونات التي يجب تحققها في بناء الحضارة:

أولاً: مكون الدين، وللدين أهمية كبيرة في تشكيل أي حضارة ما، فهو يدفع الإنسان للقيام بالأعمال والمهام الدينية؛ مما يشكل مجموعة بشرية تتفق في المبادئ، والعقائد، والسلوكيات المحددة. فأهمية الدين في بناء الحضارة متعلق بوحدتها، وتماسكها، وازدهارها: "وأن تلك الحضارات قد ازدهرت في رحاب الإيمان. بل كانت نماذج رفيعة في الفن والعمارة"^(٢)، أما الحضارات التي انحرفت عن شرع الله - عز وجل - أذاقها الله - سبحانه وتعالى - الخوف والجوع، قال تعالى: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَانكِهَيْنَ كَذَلِكَ ۖ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ} (الدخان: ٢٥-٢٨).

(١) مالك بن نبي، تأملات، دمشق: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٢٠٠
(٢) طيب، زمخشري بن حسب، أسس البناء الحضاري من المنظور القرآني، بحث ماجستير، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، ماليزيا، ٢٠٠٩م، ص ٢

والدين مكون أساسي في الحضارات القائمة الآن، والحضارات السابقة. فقد كان له الدور الرئيس في اجتماع الإنسان مع الإنسان الآخر من أجل تحقيق وحدة أو مجموعة دينية لها صبغتها الدينية والفكرية، ومن ثم تجتمع هذه المجموعة وتكبر تدريجياً إلى أن تأخذ حيز كبير من الأرض وتبدأ بعد ذلك بتعمير هذه الأرض. إذ إن للدين وظيفة في قيام الحضارات كما ذكر محمد دراز -رحمه الله- عن وظيفة الأديان في المجتمع، وأن الدين يوحد الجماعات، ويجعلهم يعملون في نظام واحد، كما أن هذا النظام يقودهم إلى احترام هذا النسق وعدم الخروج منه: "لا حاجة بنا إلى التنبيه على أن الحياة في الجماعة لا قيام لها إلا بالتعاون بين أعضائها؛ وأن هذا التعاون إنما يتم بقانون ينظم علاقاته، ويحدد حقوقه وواجباته، وأن هذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع وازع، يكفل مهابته في النفوس ويمنع انتهاك حرماته"^(١).

وقد تحدث مالك بن نبي عن أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارات، وعن دورها الإيجابي والفعال في تركيب أي حضارة، وأن الدين قادر على تنظيم سلوك الإنسان وغرائزه. "قدورة الحضارة إذن تتم على هذا المنوال، إذ تبدأ حينما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة"^(٢)، ويرى بأن الدين يعالج مشكلات نفسية، اجتماعية، مرتبطة باستمرارية الحضارة: "كيف تشرط الفكرة الدينية سلوك الإنسان، حتى تجعله قابلاً لإنتاج رسالة محضرة؛ غير أن دور الفكرة الدينية لا يكتفي بالوقوف عند هذا الحد، فهي تحل لنا مشكلة نفسية اجتماعية أخرى ذات أهمية أساسية تتعلق باستمرار الحضارة. فالمجتمع لا يمكنه مجابهة الصعوبات التي يواجهها بها التاريخ كمجتمع، ما لم يكن على بصيرة جلية من هدف جهوده"^(٣).

(١) دراز، محمد، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، بيروت: دار القلم، ٢٠٠٨م، ص ٩٨

(٢) مالك بن نبي، شروط النهضة، دمشق: دار الفكر، ط ١٦، ٢٠١٧م، ص ٧٨

(٣) المرجع السابق، ص ٧٩

وللحضارة الإسلامية تجربتها الخاصة في تفعيل مكون الدين في بنائها الحضاري، وتطورها العمراني والفكري عبر التاريخ الإسلامي، فقد لعب الدين دور مهم في تصدر الحضارة الإسلامية بين الحضارات آنذاك، وهذا بسبب أن الإسلام لا يخاطب الروح فقط وإنما يخاطب الروح والعقل معاً، فكان له أثره الواضح في قيام حضارة قوية مادية ومعنوية. إذاً تنهض الحضارات بوجود الدين.

ولدى توينبي فلسفة خاصة في ميلاد الحضارات، وهي تتمثل في عنصرين: التحدي والاستجابة، وملخص هذه الفلسفة أن هناك ظروف صعبة وقاسية تخلق تحدياً، وفي نفس الوقت لهذا التحدي ردة فعل أو استجابة. والتحدي والاستجابة يعدها توينبي من العوامل النفسية التي تسبب في ميلاد الحضارة ونشوتها. ويرى توينبي أن للدين دور في بناء الحضارة، وقد سماها بالقوة الروحية التي تتحدى الظروف القاسية. فيعتبر توينبي أن الدين من التحديات التي غيرت وجه العالم؛ وخاصة صحراء شبه الجزيرة العربية وانبهاره بحضارة خرجت من أصعب بيئة. "انبثاق الحضارة العربية الإسلامية من صحراء الجزيرة العربية منذ حوالي خمس عشرة قرناً من الزمان، وما كان للإسلام كقوة روحية في قيام حضارة إسلامية تحدت ظروف الصحراء القاسية والظروف الاجتماعية الأقسى، والمتمثلة في سيادة الديانة الوثنية وخرجت إلى العالم عبر الفتوحات الإسلامية"^(١).

إن مرحلة التاريخ عند اشبنجلر، تتألف من حضارات عظيمة، تظهر كل واحدة من هذه الحضارات من خلال فكرة بدائية في تربة إقليم ما، وتكون تلك التربة بمثابة الأم للحضارة، وهذا لارتباطها بها طوال دورة حياتها، وتمثل تلك القوة روحاً تصبغ كل مظاهر الحضارة بطابعها

(١) بوفضة، هدي، دور الدين في بناء الحضارة في فلسفة أرنولد توينبي، رسالة ماجستير، جزائر: جامعة الأخوة، ٢٠٠٧م-٢٠٠٨م،

الخاص.^(١) ولا يمكن أن تكوه هذه الروح التي يصفها شبنجلر إلا روح متجذرة من قلب الإنسان وعقله؛ لأنها مرتبطة فيه كارتباط الدين بالإنسان، أو ما يعتقد ويفكره فيه. والدين ينعكس على كل جوانب المجتمع من ثقافة وفن وعلم.

ويحقق الدين من خلاله مقاصد عظيمة للحضارة، منها مقصد العدل، ومقصد التعاون والإخاء، ومقصد حرية المعتقد؛ فهو بمثابة المكون المسؤول عن القيم. فمقاصد الدين كثيرة، ولكني سأركز على مقصد واحد وهو مقصد حرية المعتقد؛ فإن وجوده في الحضارة سيؤدي إلى حفظ القيم والمقاصد الأخرى؛ إذ إننا لا نتخيل وجود عدالة أو تعاون دون وجود حرية المعتقد، فهي بوابة القيم والأخلاق والمقاصد الدينية. ومن ثم يتحقق الحوار الحضاري في ظل مقصد حرية المعتقد.

أما المكون الثاني في البناء الحضاري: الإنسان. فهو الفاعل، وهو المحرك، وهو الذي يبني الحضارة. وبلا شك أن وجود الإنسان مهم في عملية البناء الحضاري؛ لأن الهدف من ارتقاء الحضارات هو ترفيه الإنسان واستقراره ماديا ومعنويا. فأهمية الإنسان للحضارة: هو الفاعل في بناء الحضارة والارتقاء بها، واستثمار عقله وطاقاته في البناء، فالإنسان هو الذي يحرك التاريخ، وهو الذي يصعد بالحضارة أو يكون سبب هلاكها.

ويرى مالك بن نبي أن صعود الحضارة بسبب صعود الإنسان، وركودها بسبب ركود الإنسان؛ فالحالة الحضارية متعلقة بالإنسان^(٢). والقدرة التي وهبها الله - عز وجل - للإنسان من عقل وجوارح استطاع من خلالها تسخير هذه المواهب في بناء الحضارة؛ فالعقل يخطط ويدرس

(١) شبنجلر، أسوالد، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة: أحمد الشيباني، ج١، منشورات دار مكتبة الحياة: بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٤،

ص ٦٨-٧٠

(٢) مالك بن نبي، تأملات، ص١٩٣، بتصرف

الإمكانيات، واليد تعمل وتبني: " وهذه اليد نفسها كانت من أكبر العوامل في شحذ ذهنه وإخراج طاقاته العقلية.. وهكذا كانت يده مفتاح ذهنه وعقله دليل يده، وأدى هذا التعاون بين اليد والذهن إلى خطوات بعد خطوات من التقدم"^(١).

وكذلك للإنسان خصائص حضارية وهبها الله سبحانه وتعالى له؛ كاللسان، الذي من خلاله تخرج الأصوات، والتي عرفت بعد إذن بالحروف^(٢). فاللغة كذلك لعبت دور كبير في التاريخ الإنساني الحضاري. ومكون الإنسان في الحقيقة مكون معقد، يحتاج إلى عملية بناء داخلية، قبل أن يكون جزء من عملية البناء الخارجي؛ وهي عملية البناء الحضاري، فهو بحاجة إلى أن يكون مهياً قبل أن يكون مكون من مكونات البناء الحضاري. وعملية البناء الإنساني تبدأ من بناء الإنسان ذاته، بناءً داخلياً، سواء كان من خلال العلم؛ كما عبر عنه آرنست كاسيرر^(٣) بأن: "العلم ذروة الفعاليات الإنسانية"^(٤)، وأن الإنسان بحاجة لأن يتطور ذهنياً وعقلياً من خلال الحصول على (المعرفة). فإن التطور الحضاري، والازدهار العمراني يحتاج لعقول مفكرة، وأيدي عاملة.

فغاية بناء الحضارة هي من أجل الإنسان، وقد استخدم الإنسان في بعض الأحيان عبر التاريخ بصورة غير إنسانية. ففي ظل الحضارة الفرعونية، وتحديدًا في عملية بناء الأهرامات؛ قد ظلم الإنسان العامل، والذي شارك في بناء الأهرامات، وهذا من خلال صعوبة وتعقيد عملية بناء الهرم الواحد! فكيف ببناء أهرامات مازالت منها موجودة في عالم الحاضر. وتعد الأهرامات من

(١) مؤنس، حسين، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٠م، ص ٢١

(٢) المرجع السابق، بتصريف

(٣) فيلسوف ألماني درس في جامعتي برلين وهمبرج ثم كان أستاذًا للفلسفة في جامعة جوتنبرج بالسويد.

(٤) كاسيرر، آرنست، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان، ترجمة: محمد يوسف نجم، بيروت: دار الأندلس،

١٩٦١م، ص ٣٤٨.

التراث العجيب والمعجز كذلك في أعين علماء الآثار والمهندسين، وما زالوا إلى يومنا هذا يتعجبون من قدرة الإنسان في بناء الأهرامات.^(١) والناظر في مراحل بناء الأهرامات، والمدة الزمنية في بناءها، نجد بأن الإنسان قد عمل فوق طاقته، وإن استفاد الإنسان لاحقاً من بناء الأهرامات إلا أن الانتفاع منها لم يستمر، ولم يحقق المنفعة المطلوبة للبشرية. "يمكن اعتبار النفع هو أحد المقاييس الحضارة، فكلما زاد المنتفعين من الحضارة ومنجزها كانت الحضارة أرقى وأبقى، فمقابر العظماء، وقصور السلطان ليست في ميزان النفع شيئاً للإنسان. فأفضل المنجزات ما جعلت حياة الإنسان أكثر سهولة ويسراً وسعادة وأوجدت حلولاً لمشكلاته"^(٢).

إذ لا بد أن ندرك طبيعة الإنسان الذي يبني حضارته، وما حدود قدرته، وعلمه، والمواهب التي وهبها الله عز وجل له، وإمكانياته، فاختيار الإنسان كمكون من مكونات البناء الحضاري له شروطه، فالإنسان الفاعل في الحضارة؛ هو الإنسان المكرم، وهذا ينعكس في عملية البناء الحضاري عندما يُعطى للإنسان كرامته وحقوقه.

وعندما تُسلب هذه الكرامة لن يتفاعل هذا الإنسان مع البناء بل بالعكس؛ سنجد بأن عملية البناء لن تتطور. فعامل الكرامة الإنسانية مسلوب. فإن مقصد حفظ الكرامة الإنسانية من القواعد المهمة في تشكيل هذا المكون؛ مكون الإنسان، وإن الحضارة الإسلامية عرفت طبيعة هذا الإنسان؛ فكانت نظرة الإسلام للإنسان الفاعل في الحضارة؛ نظرة سماوية، تعي طبيعة هذا المخلوق، وحدود قدرته، وعلمه.

(١) عزب، خالد، أيمن منصور، الأهرامات المصرية أسطورة البناء والواقع، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: مصر، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٣٤

(٢) عاشور، مصطفى، الإنسان معيار الحضارة، مقال منشور على موقع مركز وجدان الحضاري، ٢٠٢١م، https://www.wijdancercenter.net/mcc_articles/%D8%A7%D9%84%D8%A0%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%8A%D8%A5%D8%B9%D9%8A%D8%A7%D8%B1-%D9%80%D8%B9%D9%8A%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A9

لذلك نجحت الحضارة الإسلامية عندما تعاملت مع الإنسان بما يتناسب مع طبيعته وإمكانياته، فلم تكلفه فوق طاقته، ولم تقلل من شأنه ومواهبه. بل توازنت معه ماديا ومعنويا، مستمدة في تعاملها مع الإنسان الوحي؛ لأن الخالق هو الله عز وجل، فإن الإنسان مخلوق، ولا يعرف طبيعته وحدوده إلا الله عز وجل. فمن أراد أن يعرف حقيقة نفسه فليراجع كتاب الله عز وجل. كذلك الحضارة الإسلامية استمدت تعاملها مع الإنسان من السنة النبوية؛ وهي الشارحة، والمفسرة لكتاب الله عز وجل. والقرآن الكريم: "هو الوحي المعصوم قد صور لنا الحضارة وفق منظور يتربع فوق ذروة المثالية في كافة الجوانب مراعي بذلك قدرة الإنسان المكلف على الأخذ بأسباب ديمومة الارتقاء"^(١)، فقد قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠) فيه ذكركم: أي شرفكم^(٢).

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠) فقد ذكر ابن كثير -رحمه الله- في معنى هذه الآية، فقال: "يُخبر تعالى بامتنانه على بني آدم بثوابه بذكرهم في الملاء الأعلى قبل إيجادهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة، واقصص على قومك ذلك."^(٣) فعندما يعلم الإنسان بأنه خليفة الله في الأرض حينها يستشعر مكانته أولاً، وأنه خُلق لغاية عظيمة، ومن ثم سيعمل لبيني حضارة قائمة على الدين، والقيم، والمبادئ، والأخلاق، وكذلك العمل والسعي نحو الإصلاح والعمران." واستخلاف الإنسان في الأرض تشريف وتكليف له بتحمل الأمانة العظمى التي لم تحتملها

(١) الدوري، سيف صفاء عبد الكريم، مفهوم الحضارة كما يصورها القرآن، شبكة الألوكة، ٢٠١٢م،

file:///Users/aishaalsenaid/Downloads/١٧٤٢-٠٠٠-٠٢٩-٠٠٢٪٢٠(١).pdf

(٢) http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura٢١-aya١٠.html جامعة الملك سعود، المصحف الإلكتروني

(٣) ابن كثير، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص ٥٥

السموات والأرض"^(١). فعلى الإنسان أن يحقق العدل، لأن الله عز وجل جعله خليفة، وأهم خُلق وصفة يجب توفرها في هذا الخليفة: العدل.

إذا الإنسان مكون أساسي في عملية البناء الحضاري؛ لأنه بالتأكيد هو من ينظم عملية البناء، وهو الموجه، وأيضا المشارك في البناء بيديه وعقله وما وهبه الله عز وجل من قدرة. وتفضيل آدم عليه السلام بما اختصه من علم على الملائكة؛ يدل على تشريف الإنسان، وعلى قدرة الإنسان في أن يحمل العلم؛ ويُعلّم به غيره، وهذا شأن الإنسان المسؤول عن بناء الحضارة. الذي يعرف قيمته، ويدرك مواهبه ونقاط قوته، ونقاط ضعفه، لذا سأحاول أن أركز في هذا البحث عن أهمية حفظ الكرامة الإنسانية من خلال إرساء مقصد عظيم وهو مقصد العدالة؛ فإن العدالة تحقق للإنسان كرامته من خلال معرفة طبيعة الإنسان أولاً، وهذا يؤدي إلى عدم ظلمه وتكليفه فوق ما يستطيع، وثانياً: إشراكه في البناء منطلق من معرفته بقيمته ومكانته في المجتمع.

أما المكون الثالث: المكون المادي، أو الجانب المادي، وهو ما أشار إليه مالك بن نبي بـ"عالم الأشياء" فالإنسان في ظل هذه النظرية يعيش في عوالم ثلاثة: عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء. أما عالم الأشياء: فهو كل ما تنتجه الأمة من صناعة وزراعة وشوارع ومبان، وغيرها من الخدمات والمنتجات الملوسة والمحسوسة، فهو العالم الذي يقوم على الماديات والملموسات بالحواس الخمس. وينتج هذا الجانب -الجاني المادي- الاقتصاد، والجانب العمراني الفني، ومواد الخام، فهو بمثابة المكون المستثمر للطبيعة والأرض؛ وهو استقلال الموارد؛ للاستفادة منها في إعمار الأرض، والتقدم في جميع مجالات الحياة. وأهمية الجانب المادي

(١) المترجي، البدالي، مفهوم العمران في ضوء القرآن، الجزائر: جامعة مولاي السلطان بني بلال، مجلة الأثر، م١٨، ١٤، ٢٠٢١م، ص ٢٤٩

للحضارة هو من أجل استمراريته، ومواكبتها للعصر الذي تعيشه، وسباقها للزمن والتغيرات الحياتية السريعة. كما أن هناك علاقة بين العقل والتفكر في الإنتاج والاكتشاف؛ فيعدها كمال لدرع من مرتكزات البناء الحضاري، فيقول: "وجوب قيام العقل بفريضة التفكير والتدبر من أجل الإنتاج والإبداع والاكتشاف"^(١). وأهمية الجانب المادي في الحضارة هو إمدادها بالضروريات المادية التي تكفل استمرارية بناءها، ويضع الجانب المادي قواعد البناء، ويسهل عملية ازدهارها وتطورها. وكانت نتيجة استثمار عقل الإنسان، واستقلاله، واستخدام مواهبه وطاقاته في ابتكار الوسائل التي تعين الإنسان في التطور مثل: التكنولوجيا والصناعة.

فإن الجانب المادي يظهر تدريجياً مع صعود الحضارة؛ فكلما ازدهرت الحضارة ازدهر فيها العمران والصناعات والحرف: "من مظاهر الحياة المتحضرة وجود الصنائع والمهن والحرف التي بها تتحقق كثير من احتياجات الناس، وقد كانت الدولة الإسلامية الأولى ذاخرة بجملة من ذلك مما يدل على روح التطور والمدنية حينئذ"^(٢). والحضارة الإسلامية اعتنت بالجانب المادي كثيراً وهذا لم يجعلها أن تسرف فيه ولكن كان اعتنائها واستخدامها للمادة بوسطية. ونجد مفهوم قريب من الجانب المادي في الإسلام؛ وهو مفهوم العمران. أو عمارة الأرض، ففي التأمل في مفهوم العمران؛ والذي يظنه بعض الناس بأنه مرتبط بالجانب المادي فقط، يوضح لنا القرآن الكريم مصطلح العمران ومعانيه التي تدور حول المفهوم، وهي: "حالة الحياة، والإقامة والسكن، والبناء في مكان محدد، والعمران المادي، والعمران الفكري والثقافي"^(٣).

(١) لدرع، كمال، المرتكزات العلمية للبناء الحضاري للأمة الإسلامية من وجهة نظر الدين الإسلامي، الجزائر: مجلة الإحياء، العدد ١٠،

٢٠٠٦م، ص ٢٣٦

(٢) زايد، أحمد محمد أحمد، من معالم الحضارة والمدنية في الدولة النبوية قراءة في فكر الإمام محمد عبد الحي الكتاني، مجلة وحدة

الأمة، الجامعة الإسلامية، م ٣، ع ٦٤، ٢٠١٦م، ص ٣٦٦

(٣) المترجي، البدالي، مفهوم العمران في ضوء القرآن، ص ٢٤٩

إذ إن تصورنا حول مفهوم العمران محدد، وهو الجانب المادي فقط بينما هناك مفاهيم أعمق من المادة وهو الجانب الفكري؛ ويقصد بعمارة الفكر وبناء الجانب المعنوي وهذا ما سنتحدث عنه في الفقرات القادمة إن شاء الله. فالعمران الحضاري صورة من صور ازدهار الحضارات، فإننا لا نجد حضارة دون عمران ونهضة سكنية بالإضافة إلى عنصر الفن والإبداع في بناء العمارة الحضارية.

ويضيف الجانب المادي للحضارة صبغتها الخاصة، وشكلها المميز عن باقي الحضارات، وينعكس الجانب المعنوي على العمران والنهضة المادية من خلال ثقافة الأفراد، وما مدى تمسكهم بهويتهم الدينية والفكرية. وهذا يؤكد لنا ارتباط مكونات البناء الحضاري ببعضها، وعلاقة الثقافة والدين بالجانب المادي من خلال الصناعات والحرف والزخارف والنقوش. وهذه العلاقة نجدها واضحة في حضارة الأندلس عندما كانت تحت الحكم الإسلامي؛ فنرى من خلال هذه الحضارة العريقة ثقافة ودين المسلمين واضحا من خلال العمارة والفن في البناء والمساكن والجوامع آنذاك.

فابتكرت حضارة الأندلس زخارفها وفنونها المعمارية ونجحت في استقطاب العالم لها من خلال فن العمارة، "لقد ابتكر الأندلسيين نظاما جديدا في البناءات الخاصة بالجوامع والقصور والمتمثلة في نظام العقود التي اعتنى بها مهندسو المنطقة وبينوا التأثيرات الجمالية فيها باستخدام ما يسمى بالعقود الهوائية التي تنبت من الأذرع الطويلة لقرم التيجان"^(١). وهذه صورة من صور الفن الحضاري الذي كفه الجانب المادي للحضارة وبدل على الاستقرار المادي لحضارة الأندلس. "نظام العقود خلال عصر الإمارة والخلافة الأمويين في الأندلس كان متأثرا متأثرا

(١) شريف، قوعيش، الفن الجمالي في حضارة الأندلس، مجلة الناظفين بغير اللغة العربية، م٢، ع٣، ٢٠١٩، ص٢٦

واضحاً بالفن الإسلامي، فاستخدمت العقود فوق الأقواس على شكل حدوة حصان.. وامتد التأثير في بعض الكنائس المسيحية^(١)، فلولا الجانب المادي في الحضارة، وامتلاك هذا المكون لما ازدهرت الأندلس وانتهضت بعمران فني مازال الناس يتوافدون لزيارته والتفكر في جماله.

فالجانب المادي من المكونات الأساسية للبناء الحضاري، فهو يدعم الإنسان من خلال توفير احتياجاته الضرورية والكمالية، وكذلك يدعم الجانب المعنوي من خلال إبراز ثقافة وهوية الأفراد داخل المجتمعات. وقد خلّد التاريخ أعمال وإنجازات الملوك الذين أقاموا البلاد والحضارات من خلال استقلال المادة واستثمارها في توفير سبل الرفاهية وتطوير الإنسان. ومن الإنجازات التي خلّدها التاريخ إنجازات الملك حمورابي الذي أسس المدارس، وحفر الأنهر^(٢)، فهذا جانب من الجوانب المادية لحضارة بلاد الرافدين.

ويحقق الجانب المادي عدة مقاصد منها: مقصد الازدهار العمراني والفني، ومقصد توفير سبل العيش؛ وهي ضروريات المعيشة كالمأكل والملبس والسكن، فمن دونها لا تستمر حياة الإنسان، كذلك مقصد تحقيق المصالح الإنسانية المشتركة والتي من صورها تحقيق الكفاية والتكافل الاقتصادي، وهو المقصد الذي سأتناوله كأحد مقاصد الحوار الحضاري كمقصد من مقاصد الجانب المادي.

إذ إن الجانب المادي يحقق مقصد الكفاية وهو مقصد إسلامي عظيم، ويحقق مقصد التكافل الاقتصادي، ويتحققهما يتحقق مفهوم العدالة. فإن العدالة لا تكون مع الإنسان فقط، بل يجب أن تكون العدالة في كل شيء، وموجودة في كل جانب من جوانب الحياة. فغياب العدالة يؤدي إلى الدخول في مرحلة خطيرة من مراحل الحضارة وهي مرحلة الإسراف والتبذير نتيجة

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها

(٢) الحسيني، عبد الرزاق، العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العرفان: صيدا، بيروت، ط٣، ١٩٥٨م، ص١٤

الترف. وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته عن الأطوار التي تنتقل بينها الدولة، وذكر بأن الدولة تمر بأطوار وعلامة سقوطها عندما تمر بالطور الرابع وهو طور الإسراف والتبذير.^(١) إذاً لابد للعدالة أن تتحقق في الجانب المادي وتضبط استثماره واستخدامه.

أما المكون الرابع من مكونات الحضارة: الجانب المعنوي، ويتمثل في القيم، والأخلاق، والمبادئ، والثقافة، والهوية، والمعرفة، والآداب، وهو الجانب الثقافي لأي حضارة. "إن الثقافة هي مجموعة المعلومات التي يقوم عليها نظام حياة أي شعب من الشعوب، فهي على هذا أسلوب حياته ومحيطه الفكري ونظرته إلى الحياة، ولابد أن تكون خاصة به، نابعة من ظروفه واحتياجاته وبيئته الجغرافية وتطور بلاده التاريخي والحضاري."^(٢) وهو يشمل كل سلوك مجتمع عليه أفراد البيئة الواحدة، من طبيعة الملابس، والمأكل، والعادات والتقاليد، والطقوس في أعيادهم، واحتفالاتهم؛ مما يقوي الصلة بين المجتمع الواحد، ويدعم أفكارهم، وينقلها من جيل إلى جيل، "وكل لهجة صورة من طبيعة أهلها وأثر من بيئتهم وصورة تفكيرهم والمعاني التي تدور في أذهانهم، فهي على هذا مظهر ثقافتهم أي أسلوبهم في الحياة.

فثقافة الأمة هي علمها غير الواعي الذي تتوارثه أجيالها وتسير به في شؤون حياتها، أي هي طريقته في الحياة. تدخل في ذلك اللغة، أو اللهجة من اللغة، ونظام إقامة البيوت"^(٣). فإن الثقافة هي الجانب المعنوي في الحضارة، فهناك علاقة بين الثقافة والحضارة، وهي: "علاقة اعتماد وتكامل وكل منها يؤدي إلى وجود الآخر"^(٤)، فقد جاء في إحدى تعاريف الثقافة بأنها:

(١) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب: دمشق، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٣٣١

(٢) مؤنس، حسين، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، ص ٣٢٢

(٣) المرجع السابق، ص ٣٢٣

(٤) الذيب، عبد الرحمن محمد علي، العلاقة بين الثقافة والحضارة: دراسة نظرية، تونس: مجلة جامعة الزيتونة، العدد ٢٩، جامعة الزيتونة، ٢٠١٩م، ص ١٤

"جهاز فعال ينتقل بالإنسان إلى وضع أفضل، وضع يواكب المشاكل والطموح الخاصة التي تواجه الإنسان في هذا المجتمع أو ذاك في بيئته وفي سياق تلبية حاجته الأساسية"^(١).

وبضيف شبنجلر أن كل حضارة كانت في التاريخ (ثقافة) تحمل إمكانات جديدة خاصة بها، تعبر عن نفسها من خلالها، وهذا التعبير الذي ينشأ وينمو، ثم ينضج ويختفي تدريجياً ثم لن يعود أبداً، لذلك لا يوجد رياضيات أو فن واحد، أو علم واحد لمظاهر حضارة؛ فكل حضارة فناً، وأدبها، وعلومها الخاصة. وأن لكل فن أو علم، حياة محدودة منفردة بذاتها، تشبه أو مشابهة لحياة النباتات وإزهارها، وكما أن أزهار الحقول تنمو دون أن تعي هدفها وغايتها، فالحضارات تنمو دون أن تشعر بفكرتها أو غايتها^(٢).

وفي ضوء هذا التعريف نستنتج أهمية الثقافة في البناء الحضاري، وخاصة بناء الإنسان، فهو المحرك والفاعل في عملية البناء كما ذكرنا سابقاً. وأن الثقافة تصنع التغيير في المحيط الإنساني فتقلبه إلى أحسن ما كان عليه. وهذا بالضبط ما تصنعه الحضارة من نقل الإنسان إلى مستوى أفضل من ذي قبل. إذاً للثقافة دور في بناء الحضارة؛ فهي تمد الإنسان بما يحتاجه من وسائل لإشباع حاجاته الاجتماعية والنفسية؛ فهي تزود الإنسان المكون في بناء الحضارة. والثقافة كذلك تساعد على خلق شعور الولاء والانتماء للوطن والجماعة والحضارة. وكذلك أهمية الثقافة للإنسان أنها تعلم الإنسان القدرة على التفكير وهذا من خلال تفاعله مع محيطه الذي يشاركه نفس الثقافة^(٣).

(١) المرجع السابق، ص ١٩

(٢) شبنجلر، أسوالد، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة: أحمد الشيباني، ج ١، منشورات دار مكتبة الحياة: بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٦٤، ص ٦٨-٧٠

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠

وأهمية هذا الجانب في البناء الحضاري يكمن في خلق طريقة واحدة، تساعد أي مجموعة بشرية في الاستمرار والازدهار من أجل تحقيق بيئة آمنة يسودها التعاون القيمي. إذ أن للقيم دور كبير في قيام الحضارة، وفقدانها-القيم- قد يكون سبب في انهيار الحضارة؛ فالحضارة الإنسانية هي الحضارة التي تجمع بين المادة والروح: " لا شك أنّ الحضارة الإنسانية الرائدة هي التي تجمع بين المادة والروح، وفقدان أحدهما كفيل بأفول تلك الحضارة وسقوطها، ولعل ما تعاني منه الدول الإسلامية اليوم من ضعف وتخلف حضاري؛ إنما هو بسبب الانحراف والتغيير الذي طرأ على القيم الروحية فيها"^(١).

ويرتبط الجانب المعنوي بمكون الدين في المصدرية أو المرجعية غالباً؛ فالدين يشكل المصدر الأساسي للجانب المعنوي في الحضارة، فالدين؛ مهما كان هذا الدين: مصدر ثقافة وقيم وأخلاق مجتمع ما، إذ لا نجد تعارض بين الدين في حضارة ما مع ثقافة وقيم هذه الحضارة؛ لأن كما ذكرت الدين مرتبط بالجانب المعنوي للحضارة. فإن مصدر الثقافة الإسلامية: الدين الإسلامي، ومصدر ثقافة الحضارة الغربية؛ الدين المسيحي. فمكونات البناء الحضاري مرتبطة ببعضها في علاقة تكاملية؛ يحتاج كل مكون للآخر.

ويحقق الجانب المعنوي مقاصد، منها: مقصد الاستمرارية؛ وهو استمرارية القيم والمبادئ من جيل إلى جيل، فالجانب المعنوي يحفظ هذا الترابط القيمي في أي حضارة؛ مما يساعد في استمراريته. ويحقق هذا الجانب مقصد العدل، والتسامح، والانتماء، والحرية، والترابط، والتواصل مع الآخرين، وتحفيز الإنسان وتنمية ضميره، ويحقق كذلك مقصد حرية التعبير عن الرأي. ومقصد حرية التعبير عن الرأي يُعبر عن الجانب المعنوي في الحضارة، إلى جانب تحقيق

(١) ببوش، محمد العربي، دور القيم الروحية في بناء الأمم والحضارات، (مجلة الشهاب: مج ٤، ع ٢٤، الجزائر، ٢٠١٨م، ص ٢٦٧).

مقصد العدالة. واخترت في هذا البحث أن أركز على مقصد حرية التعبير عن الرأي؛ لأنه يعد من المقاصد المهمة في الفضاء المعنوي للبناء الحضاري.

أما المكون الخامس: النموذج، ويقصد بالنموذج: صورة الحضارة بين الحضارات الأخرى، وهذه الصورة لها أبعادها الخاصة، والتي تتمحور حول الدين، والبعد المادي، والبعد المعنوي للحضارة. ويعرف أحمد خضر النموذج اصطلاحاً، فيقول: بأنها "أداة تحليلية ونسقاً كامناً، يدرك الإنسان من خلاله واقعهم، ويتعاملون معه ويصوغونه" أو هو "بنية فكرية تصويرية، يُجردها العقل الإنساني من كمّ هائل من العلاقات والتفاصيل، فيختار بعضها ثم يرتبها ترتيباً خاصاً، أو ينسقها تنسيقاً خاصاً؛ بحيث تصبح مترابطة بعضها ببعض، ترابطاً يتميز بالاعتماد المتبادل"^(١). ونستطيع أن نلخص مفهوم النموذج بأنه: البناء الفكري والمادي الذي يبينه الإنسان في الحضارة لتكون الصورة لها بين الحضارات. وهي كما ذكرها مالك بن نبي أن للنموذج مقومات، وهي أولاً: النسق العقدي، ويشمل علاقة الإنسان بإله سواء كانت هذه العلاقة سلبية أم إيجابية، وثانياً: الجانب المادي، ويشمل الابتكارات وتسخير الكون للإنسان، واستثمار الإنسان للمادة، وثالثاً: الجانب المعنوي، ويشمل الثقافة والفكر والهوية، وأخيراً النظام، وهي الطريقة التي تتبعها الحضارة في عملية التطور، فإذا اجتمعت هذه المكونات الأربع في أمة ما؛ تتحول لحضارة أو نموذج حضاري.

فلا يمكن أن تكون الحضارة؛ حضارة إلا بتصدرها، وانتشارها، والتحاقها بصفوف الحضارات الأخرى؛ التي استطاعت أن تعرف عن نفسها للحضارات والأمم. وهي المرحلة التكوينية الأخيرة في البناء الحضاري. ودور هذا المكون-النموذج- في الحضارة؛ إرساء صبغة

(١) خضر، أحمد بن إبراهيم، النظرية والنموذج، مقال منشور على الانترنت، موقع الألوكة، ٢٠١٣م،

[/https://www.alukah.net/web/khedr/0/050380](https://www.alukah.net/web/khedr/0/050380)

العالمية للحضارة، وإثبات وجودها بين الحضارات، وتقديم صورة وتجربة حضارية إنسانية للمجتمعات التي مازالت تبني نفسها. كما أن النموذج الحضاري وسيلة للتواصل والترابط وإقامة العلاقات بين الحضارات الأخرى، فمثلا نموذج التعايش والتسامح يعدان من النماذج الحضارية الإنسانية؛ التي تسعى البشرية في تحقيقها لأنها نموذج للحضارة الواعية والإنسانية. وهذا بالضبط ما أثبتته الحضارة الإسلامية في ترسيخ هذا النموذج، وتحقيق هذا المكون، من خلال تحقيق التعايش والتسامح مع الحضارات الأخرى.

وتقدم النماذج الحضارية بكافة مجالاتها سواء النموذج المعرفي أو النموذج الثقافي أو النموذج السياسي حلولاً ووسائل مساعدة لحل مشكلات حضارية أخرى. فالنموذج ينفذ الناس وإلا لم يكن نموذج في الأصل، فإن طبيعة النماذج أو النموذج الحضاري أن يقدم بديل لبيئة ما أو علاج لمشكلة. فمثلا نجد النموذج الغربي دائما ما يقدم ليكون بديلا لنماذج عربية أو أفريقية ظناً بأنه علاج لمشاكل إنسانية حضارية كثيرة. والنموذج الإسلامي كان النموذج الأقوى عبر التاريخ الإسلامي؛ لأنه كان يشمل الجوانب الحياتية سواء الجانب النفسي أو الصحي أو المالي أو الاجتماعي وحتى الحضاري. فإن التجربة الحضارية الإسلامية تدرس الآن في الجامعات العربية والأوروبية كذلك، وهذه طبيعة النموذج. وامتازت الحضارة الإسلامية بنموذج العدل والعدالة في القضاء والحكم، وقد بينت هذا الجانب في الفصل الأول من البحث.

فانتقلت -الحضارة الإسلامية- من الحضارة إلى النموذج، فلم تغلق باب الحوار على نفسها؛ بل تجاوز حوارها الداخلي إلى الحوار مع الآخر، والانفتاح على الآخر، مع الحفاظ على هويتها وثقافتها؛ فتحقق فيما بعد مقصد إنساني عظيم وهو مقصد التعايش والتعارف. وسأركز على مقصد التعايش والتعارف في هذا البحث؛ لأنها صورة من صور النموذج، ف نموذج

التعايشي من النماذج الحضارية الإنسانية على مر التاريخ وإلى يومنا هذا، فوجوده يعني وجود العدالة الإنسانية. وهذا ما نحن بصدده في هذا البحث إن شاء الله.

إذاً هناك مكونات يجب تحققها في البناء الحضاري؛ وهي خمس مكونات:

(١) الدين.

(٢) الإنسان.

(٣) الجانب المادي.

(٤) الجانب المعنوي.

(٥) النموذج.

وترتبط هذه المكونات ببعضها فتنتج حضارة راسخة، فكل مكون يحتاج لباقي المكونات في عملية البناء ولا نستطيع أن نستغني عن مكون واحد. فإن الأصل في قيام الحضارات؛ هي الفكرة الدينية التي تكلم عنها مالك بن نبي وأثرها في ميلاد مجتمع، وهذه الفكرة لا بد أن تكون راسخة في قلب وعقل الإنسان لأنه هو الفاعل والمحرك للتاريخ؛ فمن أجل الإنسان قامت الحضارات. ثم إن الإنسان يحتاج أن يعيش من خلال توفير احتياجاته الضرورية، ويحتاج لأدوات البناء، والازدهار، والتطور العمراني؛ فكلها تحتاج للجانب المادي وهو المكون الثالث من مكونات البناء الحضاري. وإن حضارة الأشياء لا تنفع دون حضارة الأفكار كما شرحها مالك بن نبي عندما وضع معيار لثروة المجتمع من خلال وجود الأفكار، فقال جملته الشهيرة: "لا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من (الأشياء)، بل بمقدار ما فيه من أفكار."^(١) وهنا نجد علاقة وثيقة بين الجانب المادي والجانب المعنوي في الحضارة؛ فكلاهما مهمان في البناء الحضاري.

(١) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، دار الفكر: دمشق، ط١٢، ٢٠١٨، ص ٣٧

ومن خلال هذه المكونات تم استخراج خمسة مقاصد ضرورية للحوار الحضاري وهي
نابعة من مكونات البناء الحضاري، فمقصد تحقيق حرية المعتقد نابع من مكون الدين، ومقصد
حفظ الكرامة الإنسانية نابع من مكون الإنسان، ومقصد تحقيق حرية التعبير عن الرأي نابع من
الجانب المعنوي للحضارة، ومقصد تحقيق التكافل الاقتصادي نابع من الجانب المادي
للحضاري، ومقصد تحقيق التعارف والتعايش نابع من مكون النموذج.

المبحث الثاني: أثر العدالة في تحقيق مقصد حفظ الكرامة الإنسانية

المطلب الأول: موقف الإسلام من حفظ الكرامة الإنسانية

إن حفظ الكرامة الإنسانية من أسمى ما ينبغي أن يسعى إلى تحقيقه كل إنسان، فهي غاية كل إنسان، ولقد كرم الإسلام الإنسان، وجعل له مكانته، ورفع من شأنه، فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه أكرم مخلوق على الأرض، يقول الله - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

فهذا بيان تكريم الله - عز وجل - للإنسان، ومن مظاهر عدله ورحمته - سبحانه وتعالى - جعل الفاصل الحقيقي بينهم هو التقوى، فلا فرق بين أحد إلا بالتقوى، قال الله - سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، فالكرامة التي أعطيت للإنسان، في ضوء الآيات القرآنية، نستطيع أن نقسمها إلى الكرامة الفطرية، التي أعطيت للإنسان منذ الولادة، وهي كرامة بلا استحقاق، والكرامة المكتسبة التي تأتي من خلال التقوى والعمل الصالح^(١).

ويضيف العقاد عن العدالة الإسلامية في تكريم بني آدم، وتقسيم البشر، وأن هذه التقسيمة تعتمد على التقوى في الأفضلية، "فحوى هذا أن القرآن قد وضع الإنسان -علمًا ودينًا- في موضعه الصحيح، حين جعل تقسيمه الصحيح إنه (ابن ذكر وأنثى) وأنه ينتمي بشعوبه وقبائله إلى الأسرة البشرية التي لا تفاضل بين الأخوة فيها بغير العمل الصالح، وبغير التقوى..". فإذا

(١) فرمزي، فتحي جوهر، مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام التوراة والإنجيل والقرآن، (العراق: مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، العدد ١٥، ٢٠١٤م)، ج٨، ص٥١٤.

كانوا تعدّدوا شعوبًا وقبائل كما جاء في الآية الشريفة، فإنما كان هذا التعدد أقوى الأسباب لإحكام صلة التعارف بينها وتعريف (الإنسانية) كلها بأسرار خلقها.^(١)

ومن مقاصد الحوار الحضاري حفظ الكرامة الإنسانية، من خلال الاعتراف بالآخر، وفهم الآخر، وإعطائه المساحة المناسبة للتعبير عن فكره، وما يؤمن به من دون قمع أو تهميش أو عدم الاستماع له، فتكريمه يكون بالاعتراف به أولاً، لأن الإنسان -أقصد الآخر- يتشارك مع بني البشر في التكريم الإنساني.

وقد كان للسيرة النبوية الأثر الواضح في تحقيق الكرامة الإنسانية، فالرسول □ حفظ لصحابته والمسلمين وغيرهم كرامتهم من خلال إعطاء أنموذج وللبشرية جمعاء، فقد كان □ يتعامل مع المسلمين والآخر معاملة لا تجرح كرامتهم ولا تنتقص منها، بل كان □ كما قالت عنه عائشة رضي الله عنها: خُلّفه القرآن.

وقد عاشت العصور التي قبل البعثة النبوية أشكالاً من إهانة الإنسان حتى جاء الرسول محمد □ لينقذ الإنسانية من الجور، وينقذ إنسانية الإنسان قبل أن تذوب في العادات، والتقاليد الجاهلية، ويرفع من قيمة الإنسان، ويحفظ كرامته التي كرّمها الله -عز وجل- وأعلى من شأنها. ومن المواقف الدالة على حفظ الكرامة الإنسانية من خلال تعاملات الرسول □ مع البشر كافة، نهيه عليه الصلاة والسلام عن ضرب الوجه، فالوجه أشرف ما في الإنسان وموضع الكرامة والعزة، «عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: إذا قاتل

(١) العقاد: عباس، الإنسان في القرآن، المرجع السابق، ص ٤٩.

أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ.»^(١)، وحتى الميت في الإسلام تُحفظ كرامته؛ فقد نهى-عليه الصلاة والسلام- التمثيل بالجثث، «..ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليدا..»^(٢).

وقد تبين أن للعدالة أثرا عظيما في تحقيق حفظ الكرامة الإنسانية من خلال مراعاة إنسانيته بغض النظر عن جنسه ودينه ولغته، وهذا لا نجده إلا في الدين الإسلامي، فالشريعة الإسلامية جاءت نظامًا شاملاً يحفظ للإنسان كرامته منذ ولادته، وحتى بعد موته، فالأحكام شرعت من أجل التخفيف على الإنسان ولحفظ كرامته وهذا أصل موجود في الإسلام والأديان الكتابية، فالأصل في وضع الأحكام في الأديان الكتابية: "هو أن هذه الأحكام إنما وضعت في الأصل؛ لأجل أن ينال الإنسان كرامته وحقوقه، فالإنسان وحياته وسعادته وإحقاق الحق ورفع الظلم وتحقيق العدالة هي الهدف من إنزال هذه التشريعات"^(٣).

إن الأسباب التي أدت إلى حفظ الكرامة الإنسانية في الإسلام، والتي تختلف معها القوانين الوضعية هي المرجعية، يقول التويجري: "إننا نجد أن مفهوم الكرامة الإنسانية في القوانين الوضعية، يختلف عنه في المبادئ الإسلامية لأسباب موضوعية كثيرة، أهمها على وجه الإطلاق، أن الوحي الإلهي هو الذي وضع الأساس الثابت للكرامة الإنسانية وأكد أصالتها، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وهو تكريم إلهي يعلو فوق كل تكريم للبشرية جاءت به القوانين التي وضعها الإنسان لتنظيم شؤون حياته"^(٤).

(٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب فضل إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه، رقم: ٢٥٥٩، ينظر: صحيح البخاري، مرجع سابق، ص ٦١٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الاغارة على الكفار الذين بلغنهم دعوة الإسلام، رقم: ١٧٣١، ينظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ص ٨٢٨.

(٣) فرمزي: فتحي جوهر، مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام التوراة والإنجيل والقرآن، مصدر سابق، ص ٤٨٩.

(٤) التويجري: عبد العزيز بن عثمان، الحوار من أجل التعايش، (القاهرة: دار الشروق، ط ١، ١٩٩٨م)، ص ١٣٠.

المطلب الثاني: مظاهر حفظ الكرامة الإنسانية في الإسلام

من مظاهر العدالة الإسلامية، والتي حققت تكريمًا للإنسان، ورفعت من مكانته، أنها منحت للإنسان: الفكر، وحرية الاختيار، فوجد القرآن الكريم يحترم العقل الإنساني، ويُعلي من شأنه؛ لأن الإنسان مسؤول عما يختاره بإرادته، فمن عدل الله - سبحانه وتعالى - أن عزّف الناس على الدين الصحيح ثم جعلهم يختارون بأنفسهم الطريق، فوجد القرآن الكريم يخاطب العقل، ويشرحها العقاد قائلاً: "في القرآن خطاب متكرر إلى العقل، وبيان متكرر لحساب الإنسان العاقل على الخير والشر، مع إسناد الإرادة إليه في استحقاقه للثواب والعقاب"^(١).

فالإسلام يحاسب الإنسان على اختياره بين الخير والشر؛ ومناطق الاختيار قائم على عقل الإنسان الذي وهبه الله - سبحانه وتعالى - ليميز بين الخير والشر، وهذا من عدل الله - سبحانه وتعالى.

وكذلك من صور تحقيق الكرامة الإنسانية هي المسؤولية والحرية: "إن المسؤولية والحرية ترتبطان في المنظور الإسلامي بالكرامة الإنسانية ارتباطاً وثيقاً؛ فالله تعالى الذي كرم بني آدم، هو الذي - سبحانه - جعل الإنسان مسؤولاً عن عمله، فرداً وجماعة، لا يؤخذ واحدٌ بوزر واحد، ولا أمة بوزر أمة؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١)، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦). فهي إذن من مظاهر الكرامة الإنسانية المسؤولة، كرامة إنسانية مسؤولة تتبع من إحساس المرء بوجوده الحر وبذاتيته المتفردة، والتي تترتب عليها

(١) العقاد: عباس، الإنسان في القرآن، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ط، ١٩٧١م)، ج ٤، ص ٤١.

تبعات، إن نهض بها صاحبها على النحو الذي يرضي الله أولاً، ثم يرضي ضميره، كان منسجماً مع كرامته، مستمتعاً بها، موفقاً لها حقها من المراعاة والاعتبار ومن الحفظ والصون".^(١).

فالحكمة الإلهية في عبادة إله واحد، وعدم الشرك بالله هي في صالح البشرية أجمع، وهي جوهر العدالة الإسلامية، وتعدُّ عقيدة التوحيد صورة من صور تكريم الإنسان في الإسلام: "حينما جعل شرف الإنسانية يتمثل أولاً وآخرًا في صلتها بالله، واستمدادها منه، وتقيدتها بشرائعه ووصاياها. والحرية الحقيقية -التي هي جوهر الكرامة الإنسانية- ليست في حق الإنسان أن يتدنس إذا شاء ويرتفع إذا شاء، بل الحرية أن يخضع لقيود الكمال، وأن يتصرف داخل نطاقها وحده"^(٢).

فالتوحيد يحفظ العقل من التشتت، والقلب من التلّفت؛ لأن المقصد واحد، والمعبود واحد، أما الدعاء، ومناجاة الله فلا تحتاج إلى أموال تُصرف على القرابين، ولا وسطاء بينك وبين الله، وأن الله سبحانه وتعالى هو من خلق الإنسان، وهو وحده من يعرف احتياجاته، وقدراته، واستيعابه.

فمن عدل الله -سبحانه وتعالى- أن جعل الشريعة الإسلامية واضحة، بحيث أن من يقرأها يفهمها.

فيرى التوحيدي أن التوحيد أحد تجليات الكرامة الإنسانية في الإسلام، وأنها دعوة الإنسان للكرامة: "إن أعظم تكريم للإنسان -في المنظور الإسلامي- أن هداه الله إلى التوحيد، ومن التوحيد دعوة الإسلام إلى الكرامة وإلى الحرية، والتوحيد هو تحرير الإنسان من الشرك، ومما

(١) التوحيدي: عبد العزيز بن عثمان، الحوار من أجل التعايش، ص ١٣١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٢.

يقذفه الشرك في قلب المرء من شعور بالهزيمة والسقوط: سقوط القيمة والهمة والاعتبار، وسقوط الشخصية المعنوية والكرامة الإنسانية^(١).

المطلب الثالث: أثر عدالة الحوار في حفظ الكرامة الإنسانية

الحوار يعكس مدى احترام المجتمع للإنسان؛ لأن من صور تكريم الإنسان في مجتمع ما الاعتراف به أولاً، وهذا من خلال إفراح المجال له، والتعرف عليه يكون من خلال الحوار، وهذا ما يؤكد عليه التويجري قائلاً: "وما دام الحوار الراقى هو مظهر حضاري يعكس تطور المجتمع ونضج فئاته الواعية، فإنه لا بد أن يستند إلى أسس ثابتة، وضوابط محكمة، وأن يقوم منطلقات أساس يمكن حصرها في ثلاث، هي: ١. الاحترام المتبادل، ٢. الإنصاف والعدل، ٣. نبذ التعصب والكراهية."^(٢).

ولأن الحوار ضرورة إنسانية، وصورة من صور تكريم الإنسان؛ فقد شرعه الإسلام، ودعا إليه القرآن الكريم كما ذكرنا سابقاً، فما أثر العدالة في تحقيق الكرامة الإنسانية؟ وما الدور الذي قامت به العدالة لإرساء مفهوم الكرامة الإنسانية لدى الناس؟

إن العلاقة بين حفظ الكرامة الإنسانية والعدالة هو أن الكرامة الإنسانية لا نجد لها إلا في البيئة العادلة التي تحفظ للإنسان كرامته، منطلقاً من معرفة هذا الإنسان وماهيته وجوهره، والدين الإسلامي جاء للإنسان، ولإحياء قيمته الإنسانية، وحفظ كرامته بعد أن زاد جهل الناس، وأصبحوا يدفنون هذه الكرامة من أجل الطبقات، واللون، والعرق، والدين، فمنذ أن خلق الله - سبحانه وتعالى - آدم والبشرية مكرمة بتكريم الله - عز وجل - لها.

(١) المرجع السابق، ص ١٣٣

(٢) التويجري: عبد العزيز بن عثمان، الحوار من أجل التعايش، المرجع السابق، ص ١٧.

"جاء الإسلام دعوة للناس كافة لأن يقيموا العلاقات بينهم على أساس الأخوة والتعاون على الخير ونبذ الشر، فالههم واحد، خلقهم من نفس واحدة، فلا مبرر لأي حاجز يقيمونه بينهم من لون أو جنس أو لغة أو موطن، فكان الخطاب الإسلامي بذلك أول دعوة عالمية لإقامة مجتمع إنساني على أساس الحوار والتعارف والتعاون على معرفة الحق والعمل به والتنافس في عمل الخير والبر، والعدل والإحسان. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)"^(١).

(١) الغنوشي: راشد، حقوق المواطنة، حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي، (تونس: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٨١م)، ص ٥٣.

المبحث الثالث: أثر العدالة في تحقيق مقصد حرية المعتقد

المطلب الأول: الخلفية التاريخية لمصطلح حرية المعتقد

إن من مقاصد الحوار الحضاري؛ حرية المعتقد، وقبل الحديث عن هذا المقصد، وأثر العدالة في تحقيقه سنعرّف المصطلح بدايةً، فما هو مفهوم المعتقد؟ "يعرف المعتقد (الضمير) بالحس الباطني الذي يميز به الحسن والقبيح، النافع والضار، الحق والباطل، الأخلاقي واللاأخلاقي، في حين تعريف حرية المعتقد بأنها حق كل فرد في اختيار القيم والمبادئ والأفكار، التي تحكم حياته، كما تحمي حرية المعتقد كل فرد في قراره بتغيير رأيه واعتقاداته وقيمه."^(١)، وهو مصطلح غربي أو فكرة غربية خرجت بعد الثورة الفرنسية وقد جاء بها فلاسفة السوفسطائية وهي فكرة تقول بنسبية الحقيقة؛ أي لا وجود للحقيقة المطلقة، وبناءً على هذا فعلى الإنسان أن يعتقد ما يشاء، وينتمي للدين الذي يريد، وهذه الفكرة إحدى نتائج الدولة العلمانية والتي تقول بعزل الدين عن الدولة، ووضعت الدين جزءاً من النظام، باستطاعتهم التحكم فيه، وتغييره، أو إزالته، فانتشرت هذه الفكرة -حرية الاعتقاد- في الغرب، وأصبحت جزءاً من الدساتير، والقوانين المتعلقة بالدولة، "وهكذا يتبين أن الحرية الدينية، وحق التدين، وحرية الاعتقاد، ليس لها تاريخ بعيد في الشرق، والغرب، وفي أوروبا خاصة، وسائر أنحاء العالم، وإنما كان الاكراه على الدين، والتعصب، هو السائد، حتى قامت الثورة الفرنسية، وفصلت الدين عن الدولة، وأعلنت حرية التدين، ولو نظرياً، إلى أن جاء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فنصّ على ذلك"^(٢).

(١) صبرينة: برامة، حريتنا التعبير والمعتقد كأسلوب للاتصال والتبادل، أطروحة دكتوراه، (الجزائر: جامعة محمد لمين دباغين، ٢٠١٦م)، ص ٢٢-٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥.

ثم جاء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لهيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م ليدعم هذه الفكرة، وتم التخصيص على حق حرية الاعتقاد في المادة الثامنة عشر والتاسعة عشر، فجاء في المادة ١٨: " لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سرًا أم مع الجماعة." وجاء في المادة ١٩: " لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأي وسيلة كانت دون تقيّد بالحدود الجغرافية."^(١).

(١) وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨م، الصادر من الهيئة المتحدة، وثيقة تاريخية، مادة ١٨ و ١٩.

المطلب الثاني: أثر عدالة الإسلام في تحقيق مقصد حرية المعتقد

ولأن خلفية المصطلح غربية لابد من الإشارة إلى موقف الإسلام من المصطلح، وخلفياته الفكرية، فقد كان لبعض علماء المسلمين رأي حول مفهوم حرية الاعتقاد، وهو الحذر مما يحمله المصطلح من معانٍ أخرى قد لا توافقها الشريعة الإسلامية؛ معلّين ذلك بأن مصطلح -حرية الاعتقاد- نشأ في بيئة غربية علمانية.

ويذكر صالح الزهراني عن مصطلح حرية الاعتقاد في الإسلام أنه مصطلح جديد، فيقول: "أما بالمفهوم الإسلامي فإن مصطلح حرية الاعتقاد مصطلح جديد وافد كغيره من مصطلحات الحضارة الغربية العلمانية، لذا فإن المتصدي لبيانها يجب عليه الحذر من الانزلاق وراء ما يحمله من مفاهيم علمانية غربية"^(١)، وهناك من يرى أن حرية المعتقد لا تقتصر على حرية الإيمان بما يعتقد فقط، ولكنها تحتوي على حرية العبادة أيضا: "وهناك من اعتبر أن حرية الضمير تحتوي على حرية الأديان، دون أن يكون العكس صحيحًا بالضرورة، فإذا تم ضمان حرية المعتقد في القانون، فإنها تتطوي بالنتيجة على حماية أشكالها الخاصة، أي حرية العبادة، لكن لا تضمن حرية الأديان لوحدها حرية المعتقد للجميع."^(٢)، وهناك من يرى بأن حرية المعتقد تختلف عن حرية العبادة: "ويبرز هنا فرق بين حرية الاعتقاد وحرية العبادة؛ إذ تنحصر حرية الاعتقاد في حق كل فرد في أن يؤمن أو لا يؤمن، في أن يعتقد في شيء أو لا يعتقد، في أن يعتقد عقيدة

(١) الزهراني: صالح، بن درباش بن موسى، حرية الاعتقاد في الإسلام، (جدة: بحث نشر في مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة، العدد ٦، ٢٠١٢م)، ص ١٨.

(٢) صبرينة: برامة، حريتنا التعبير والمعتقد كأسلوب للاتصال والتبادل، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣.

مغايرة للعقيدة السائدة أو معارضة لها، وهي بالتالي حق كل فرد في التفكير أو إعلان رأيه في المسائل الدينية، وتكون بذلك حرية المعتقد شعبة من حرية التفكير^(١).

وعن علاقة حرية الدين بحرية المعتقد، فتقول برارمة صبرينة: "لا يكون بذلك، حسب رأينا لحرية الدين معنى دون حرية المعتقد، فتعتبر حرية المعتقد شرطاً لحرية الدين، إنها تجعلها ممكنة، يمكن حتى الذهاب إلى أبعد من ذلك، والقول بأن حرية المعتقد تعطي لحرية الدين قيمتها، وإلا سترتكز هذه الأخيرة على الأشكال العديدة والمتناقضة التي عرفت عبر التاريخ، مثل التماثل، الضغط العائلي أو القبلي، المكانة الاجتماعية، الضغط السياسي، محاكم التفتيش، الانتقام، شراء الضمائر، التهديد، العنف الجسدي، التعذيب، المحرقة ... بما يشكل قيداً على حرية التعبير عن المعتقد."^(٢).

أما تفسير سيد قطب لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، فيقول: "ولا يعقل في شيء أن دعوة الإسلام التي كافحت لفرض حرية الاعتقاد، ولاقى أهلها الأهوال، وهم قلة مستضعفة في مكة، من طرف قوى الضلال والشرك التي عابت على المسلمين مخالفتهم دين الآباء والأجداد، ولم تدخر وسعاً في اضطهاد المسلمين ومنعهم من حقهم في الاختيار، ليس جائزاً في منطق العقل والأخلاق أن ينتصب هؤلاء في الغد وقد مكن لهم في الأرض جلادين سفاحين يسومون أصحاب العقائد الأخرى العسف والهوان لحملهم على خلاف ما يعتقدون. فكيف يعقل أن يحصل ذلك؟ إن شواهد التاريخ بعد أدلة العقل والنقل، متضافرة على أن أهم غايات الجهاد الإسلامي كسر شوكة الطواغيت وإبطال سحرهم وبطشهم، وترك الناس بعد ذلك

(١) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨.

وما يدينون.^(١) فحرية الاعتقاد يعتبرها سيد قطب أول حقوق الإنسان^(٢)، وهذا موقف القرآن الكريم من حرية المعتقد.

أما موقف السنة النبوية من حرية المعتقد فبال تأكيد لا يخرج عن موقف القرآن الكريم، "ومما يلحق بحرية التفكير حرية الاعتقاد، فلقد كانت الشريعة الإسلامية أول شريعة اعترفت للإنسان بحرية المعتقد مما لم تتوصل الهيئات الأممية إلى إقراره إلا في القرن الأخير، دون أن يتجاوز ذلك الإقرار المجال النظري غالباً"^(٣)، فإن رسول الله ﷺ عندما دخل المدينة وترأسها، كان في المدينة ممن لا يعتقد بالإسلام؛ فكان هناك فئة من اليهود المتمثلين في ثلاث قبائل مشهورة، وهي: قبيلة بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير، كذلك كان هناك أقلية ممن يعتقدون المسيحية، فكيف تعامل الرسول ﷺ مع الأقلية غير المسلمة؟ وهل أجبرهم ﷺ على الدخول في الإسلام لأن الدولة التي تحكمهم دولة إسلامية؟

لقد كان رسول الله ﷺ عادلاً في حكمه، فلم يجبر أحداً قط في الدخول في الإسلام، ولم نسمع عنه يوماً أنه فرض الإسلام على أحد، وقد عاش اليهود في المدينة لسنوات، دون أن يسيء أحد لدينهم، فهناك من المواقف في السيرة النبوية ما يدل على حرية المعتقد.

وهذا لوجود العدالة في الإسلام كما وضحت في الفصل الأول، وعدالة النبي ﷺ وصحابته

الكرام، فكان من أثرها تحقيق حرية المعتقد في زمن النبوة.

(١) قطب: سيد، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط٩، ٢٠١٣م)، ج١، ص ٢٧١.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) الغنوشي: راشد، حقوق المواطنة، حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي، مرجع سابق، ص ٦٧.

فقد كان عم النبي ﷺ أبو طالب على الشرك، وكان على معتقد أجداده، ومع ذلك لم يجبره النبي ﷺ على اعتناق الإسلام، وفي نفس الوقت كان النبي ﷺ يدعو لعمه أن يؤمن ويدخل في دين الإسلام، والصحابة-رضي الله عنهم-اتبعوا منهج الرسول ﷺ في تحقيق حرية المعتقد، وعدم إكراه الناس على الدخول في الإسلام.

فقد كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أشد الناس غيرة على الإسلام والمسلمين، وفي نفس الوقت كان شديد الحرص على إقامة العدل بين الناس، مهما كانت أجناسهم، وعقائدهم، وألوانهم، ويظهر هذا واضحاً جلياً، في وثيقة عمر^(١) -رضي الله عنه- لأهل إيليا في القدس فقد خاطبهم باللين، وأعطاهم الأمن، وحرية ما يعتقدون، وهذا يمكن استنباطه من خلال الوثيقة، التي جاء فيها: "ولا يكرهون على دين ولا يضار منهم أحد"^(٢).

ومن ثم نستنتج من وثيقة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن حرية المعتقد مكفولة في الإسلام، وكان عمر -رضي الله عنه- عادلاً في حكمه، وعُرف بالعدالة في فترة خلافته، والعدالة تستلزم إعطاء كل ذي حق حقه، فمن حق الآخر أن يدين ويعتقد بما يشاء، دون أن يؤدي الآخر أو يخترق مبادئه، فالعدالة التي اتصف بها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- جعلته أكثر التزاماً بما جاء به الرسول ﷺ وما أنزل من القرآن الكريم، فكان -رضي الله عنه- يعمل بالقرآن وما جاء به من مبادئ، يقول الله عز وجل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

(١) كتب الخليفة عمر بن الخطاب لأهل إيلياء (القدس) عندما فتحها المسلمون عام ٦٣٨هـ كتاباً أمتهم فيه على كنانتهم وممتلكاتهم.
(٢) الشعبي: صالح بن محمد بن إبراهيم، حقوق الإنسان في وثيقة عمر بن الخطاب لأهل إيلياء، دراسة مقارنة بالمواثيق والمعاهدات الدولية، رسالة ماجستير، (الرياض: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، ص ١٣.

(الممتحنة: ٨)، فما دام لم يقاتلوننا، ولم يؤذوننا، فلا حرب معهم ولا إيذاء لهم، بل الواجب علينا

أن نبرهم ونحسن إليهم، لقوله تعالى: ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة: ٨).

إن وجود مبدأ العدالة في الحكم الإسلامي، وخاصة في الأندلس، سنرى مجتمعاً واحداً، يحكمه دين واحد، ولكن الشعب مختلف في الاعتقاد، فمنهم من كان يهودياً، ومنهم من كان مسيحياً، إلا أن هؤلاء طوال فترة الحكم الإسلامي لم يخضعوا للدين الإسلامي، ولم يُجبروا على الدخول فيه، بل بالعكس كان الحكم الإسلامي آنذاك -وما زال- لا يُكره غير المسلمين على اتباع الإسلام، وما جاء فيه، بل كان غير المسلمين لهم الحق في اختيار الدين، وممارسة طقوسهم، وعباداتهم، بكل حرية، ولذلك نجد الحوار فيما بينهم -بين المسلمين وغير المسلمين- له نتائجه، وأثره الواضح في الاستفادة من العلوم الإسلامية، والفنون المعمارية، والتبادل التجاري، والرخاء الاقتصادي في تلك الفترة، يثبت لنا مدى التقاهم الحاصل بين المسلمين وغيرهم من أتباع الأديان والمذاهب الأخرى، وللعدالة أثر واضح في تحقيق حرية الاعتقاد، فأينما توجد العدالة توجد حرية الاعتقاد وما يتبعها من حريات وحقوق.

إن الدين الإسلامي يرتكز على مبدأ العدالة التي هي أصل كل خُلق وقيمة في الإسلام، ولأنه دين العدالة فقد سمح للآخرين بحرية ما يعتقدون؛ لأن للإنسان حرية في التفكير طالما خلق الله -سبحانه وتعالى- له العقل، والذي هو مناط المسؤولية الفردية عما يفعل ويتصرف، فمن العدالة أن يكون هناك مساحة في الاختيار؛ بل كان السبب الأول لأن يكون الإنسان مسئولاً عن أفعاله طالما له عقل يستطيع من خلاله أن يفكر ويختار.

ومكانة العدالة في الإسلام تحتل القاعدة الأساسية لكل المبادئ والأخلاق التي تنطلق منها القيم الكبرى، وقضايا مهمة كقضية السلم، فتحقيق السلم في المجتمعات يعتمد على جُملة من

الأبجديات، وهي خمس، رتبها معاذ عليوي كالآتي: أولاً الإدارة السلمية للتعددية، ثانياً الاحتكام للقانون، ثالثاً حرية التعبير، رابعاً العدالة الاجتماعية، خامساً وأخيراً إعلام المواطنة^(١).

وللعدالة دور في تعزيز حرية الاعتقاد، وتحقيق الحرية الدينية من خلال تهيئة الأجواء النفسية المعنوية، والأجواء المادية، وهذا بعكس ما حصل في تاريخ الحروب الصليبية، والتي أرادت من خلالها إرساء دين واحد وهو الدين المسيحي.

وغياب العدالة يؤثر على تحقيق الحريات ومنها حرية المعتقد، فمثلاً عندما ننظر لكل من يقيم الحريات، وخاصة حرية المعتقد، نجده في المقابل غير عادل، وقد يكون طاغية وظالماً، ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة عندما نقل لنا حكم فرعون، وما كان يفعله مع أتباعه، إذ كان يفرض عليهم عبادته كما جاء في القرآن الكريم على لسان فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: ٤٤)، "ولم تكن الحرية الدينية ظاهرة ومكفولة، بل كان فرعون ينادي كما قال عنه القرآن الكريم: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: ٤٤)، ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨)، وقال فرعون لموسى: ﴿قَالَ لَنْ اتَّخَذتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: ٢٩).

وكان اليهود يفرضون عقيدتهم، فلما جاء عيسى ؑ بما يصح ديانتهم اعتبروه مارقاً من عقيدتهم ودينهم، وتآمروا عليه مع الرومان لمحاكمته، والحكم عليه بالقتل والصلب، فنجاه الله تعالى منهم ورفعهم إلى السماء^(٢).

(١) عليوي: معاذ، العدالة وحرية التعبير خطوات الوصول للسلم الأهلي في المجتمع، (الدوحة: بحث في موقع مدونات الجزيرة، د.ط، ٢٠١٨م).

(٢) الزحيلي: محمد، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، (دمشق: مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٧، العدد الأول، ٢٠١١م)، ص ١١.

وكانت قريش تُعذب كل من يدخل في دين محمد □ وقد لاقى الرسول □ وصحابته
والمسلمون في مكة أشد العذاب والتتكيل من قبل قريش؛ ولا يعتدون بحريته في اختيار معتقدٍ،
غير دين الآباء والأجداد، وعبادة الأصنام، فغياب مبدأ العدالة كان واضحًا داخل مجتمع مكة
قبل مجيء الرسول □ والجهر بالدعوة الإسلامية.

فالعدالة تمهد لتحقيق حرية المعتقد والحرية الدينية، ووجود البيئة العادلة تساهم بشكل كبير
في إعطاء الناس الحق في اختيار دينهم، وما يعتقدون به، فإن التاريخ يحكي لنا أهمية مبدأ
العدالة لتحقيق حرية المعتقد؛ فنرى في أوروبا في عصور الظلمات؛ بسبب الحالة التي كانت
تعيشها أوروبا في ذلك الوقت، من الاضطراب والتأخر عن ركب العالم آنذاك، الذي يتسابق مع
الزمن في تطور ملحوظ، وعلوم جديدة، إلا أن أوروبا لم تستطع أن تلحق بالتطور السريع نتيجة
تحكم رجال الدين في قيادتها، ومحاربة العلم، ومحاولة إرغام الناس في اتباع عقيدة واحدة، ودين
واحد، وهي: الديانة المسيحية.

"فالعدالة تحفظ للناس حقوقهم وتضع مساحة مناسبة لحياتهم فهي كالبوابة التي تمر من
خلالها الحقوق والحيات، وإغلاق هذه البوابة سيؤدي حتماً إلى انحسار الحقوق والحيات"^(١).

(١) الزحيلي، محمد، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، ص ١٦.

المبحث الرابع: أثر العدالة في تحقيق مقصد حرية التعبير عن الرأي

المطلب الأول: العلاقة بين حرية المعتقد وحرية التعبير عن الرأي

إن حرية التعبير عن الرأي تلحق بحرية المعتقد أو الدين، فهاتان الحريتان مرتبطتان ببعضهما البعض؛ لأن أحد أشكال حرية المعتقد هو إفساح المجال للآخر أن يعبر عن دينه دون تعدي عليه، ولكن قد ينفصلان -حرية المعتقد وحرية الرأي والتعبير- عن بعض في أن حرية التعبير عن الرأي قد لا تكون شرطاً منبثقاً من دين أو معتقد معين فربما تكون فكرة أو قرار لمصلحة جماعة.

المطلب الثاني: موقف الإسلام من حرية التعبير عن الرأي

موقف الدين الإسلامي تجاه حرية التعبير عن الرأي مرتبط بكفالة حرية المعتقد، وقبل الشروع في موقف الإسلام من هذه الحرية أود لفت انتباه القارئ إلى عدة أمور، وقوانين، متعلقة بالتشريع الإسلامي، أولاً: الإسلام يدعو إلى كل ما ينفع الإنسان دنيوياً وأخروياً، ثانياً: الإسلام عندما يحرم أمراً فهذا من مصلحة الإنسان، ودرء المفساد عنه، "قالشارع لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة، وهذا الأصل شامل لجميع أحكام الشريعة لا يشذ عنه شيء من أحكامها كما أن هذه الشريعة لم تهمل مصلحة قط، فما من خير إلا وقد حثنا عليه النبي ﷺ وما من شر إلا وحذرنا منه"^(١).

أما موقف الإسلام من حرية التعبير عن الرأي، فنجد القرآن الكريم من خلال آياته الكريمة؛ يصرح بموضوع الشورى، كما أن الشورى إحدى صور التعبير عن الرأي واحترام الرأي الآخر، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

أما موقف السنة النبوية من حرية التعبير عن الرأي، فإن الرسول ﷺ كان قدوة لأصحابه والمسلمين في احترام هذه الحرية، يقول عبد المجيد النجار: "ورسول الله أسوة ونموذج في تعليم أصحابه -رضي الله عنهم- مناهج تكوين الرأي الناضج، والتعبير عنه بكل الوسائل، وكل ما روي عنه ﷺ في مشاوراته ومراجعاته وحواراته مع أصحابه وحثهم على الاجتهاد بحضوره وبغيابه دليل على ذلك، ومع أنه عليه الصلاة والسلام صاحب أرجح عقل حمله إنسان على وجه

(١) العتبي، سعد بن بجاد، وسطية الإسلام تجاه حرية التعبير عن الرأي، مصر: المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، عدد ٢٣، ٢٠١١م، ص ٢٠.

الأرض، وأظهر لب، وأوضح رؤية، لكنه لم يكن يغفل عن الشورى أو يتجاوزها، لا في عظام الأمور ولا في صغائرها".^(١)

كما ورد في السنة النبوية أحاديث تدعم من حرية التعبير عن الرأي، فقد جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "أتى النبي ﷺ رجلٌ يتقاضاه، فأعْظَ له، فهِمَّ به أصحابُه، فقال: دَعُوهُ فإن لصاحبِ الحقِّ مقالاً"^(٢)، وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "فإن لصاحب الحق مقالاً": "أي صولة الطلب وقوة الحجة. لكن مع مراعاة الأدب المشروع"^(٣)، وكان ﷺ يشارو أصحابه، ويأخذ برأيهم.

ومن المواقف التي تدل على حرية التعبير عن الرأي لدى رسول الله ﷺ هو موقف أبي الوليد عتبة مع الرسول ﷺ عندما أتاه ليساومه في الدين، "فعندما اجتمع قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي فرّق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة، فقال: يا محمد، أنت خيرٌ أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ. فقال: أنت خيرٌ أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ. فقال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبلى أن

(١) النجار: عبد المجيد، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م)، ص١٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستقراض، باب لصاحب الحق مقال، رقم: ٢٤٠١، ينظر: ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح البخاري، (دمشق: دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٢م)، ص٥٧٧.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (القاهرة: المكتبة السلفية، ج٥، ط١، ١٣٧٩هـ)، ص٦٢.

يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، فقال رسول الله ﷺ: «فرغت؟» قال: نعم! فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حَمِّ تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ١-٣).

حتى بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت: ١٣)». فقال عتبة: حسبك حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: «لا»^(١).

وكان رسول الله ﷺ يستمع لعنبة بن ربيعة، وهو أحد كبار قريش، فأرسله قومه إلى الرسول ﷺ ليجادلوه حول الدين الجديد؛ لأن قريش ترفض هذا الدين الجديد الذي يناقض دين آبائهم، وأجدادهم، بل وينكروه جُملة وتفصيلاً، فعندما جاء عتبة للرسول ﷺ، وقال له كل ما يجول في خاطره لم يقاطعه الرسول ﷺ حتى سكت عتبة بن ربيعة، فقال له الرسول ﷺ: «أفرغت يا أبا الوليد؟» ليتأكد الرسول ﷺ بأن أبا الوليد قال كل ما يريد.

كان رسول الله ﷺ على الرغم من مكانته ومنزلته العظيمة إلا أنه كان يستمع للآخرين، مهما كانوا، ومهما كان انتماءهم، وعقيدتهم، وعرقهم، وجنسهم، فالرسول ﷺ يؤكد هنا على حرية التعبير عن الرأي، والحق في أن يقول الإنسان رأيه مع احترامه للآخر، وعدم إهانته أو التقليل من قيمته الإنسانية، والناظر لكلام عتبة بن ربيعة سيجد بأن هناك إتهامات موجهة للرسول ﷺ ومع ذلك لم يتكلم الرسول ﷺ أو يرد على هذه الاتهامات إلى بعد انتهاء عتبة من حديثه، ثم جاء رد الرسول ﷺ.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ص ٤٩٣.

وفي سيرة الصحابة -رضي الله عنه- مواقف تدعم حرية التعبير عن الرأي، فعن الحسن -رحمه الله - قال: (كان بين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وبين رجل كلام في شيء، فقال له الرجل: (اتق الله يا أمير المؤمنين)، فقال له رجل من القوم: (أقول لأمر المؤمنين اتق الله)، فقال له عمر : (دعه فليقلها لي، نعم ما قال). ثم قال عمر: (لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نقلها منكم)^(١).

وفي هذا الموقف الذي حصل بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وبين الرجل الذي قال رأيه، وعبر عما في داخله لعمر بن الخطاب، وكان عمر في ذلك الوقت خليفة الناس، وقائدهم؛ إلا أن الرجل قال كلمته دون أن يخاف أو يتردد، وهذا يجعلنا نتساءل عن البيئة التي أحاطت هذا الرجل ليقول رأيه أمام خليفة المسلمين والفتاح العظيم! لقد كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عادلاً، وقد عُرف بعدالته، وإنصافه بين الناس، وربما هذه أحد الأسباب التي جعلت الرجل ينتقده -عمر بن الخطاب- ويقول رأيه بكل حرية، والذي دل على انتقاد الرجل، وكلمته، التي قد تغضب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- هو تدخل الرجل الذي قال: «أقول لأمر المؤمنين اتق الله» وكأنه ينبّهه على كلامه، وأنه تجاوز الآداب العامة للجلسة.

وأرى بأن كلمة عمر -رضي الله عنه- تجاوزت آفاق كل منظمة ديمقراطية، وآفاق كل من يطمح أن يُعبّر عن رأيه بأمان، وعدم تهديد لحياته، ودفع ثمن كلمته، ورأيه، كما حصل للعديد من الناس حيال إبداء آرائهم، فكان الموقف تجاههم القتل أو السجن.

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق: حلمي محمد إسماعيل، (مصر: دار ابن خلدون، ط١، ١٩٩٦م)، ص٢٧

من هنا نستطيع أن نستنتج من موقف سيدنا عمر -رضي الله عنه- تجاه حرية التعبير عن الرأي أن: أولاً: حرية التعبير عن الرأي تحتاج لضمانات، ومساحةً أمان، كما فعل عمر مع الرجل، ثانياً: حرية التعبير عن الرأي تتطلب بيئة عادلة؛ إن أردت أن تؤتي ثمارها، ثالثاً: حرية التعبير عن الرأي في الإسلام مكفولة، "فالإسلام كفل حرية التعبير عن الرأي في الجملة، فلم يأت ليحكم الأفواه، ولا ليكبت الحريات، ولا ليصادر الآراء السليمة، وإنما أعطى الأفراد الحرية في أن يعبروا عما في أنفسهم، بل أنه في بعض الأحيان أوجب ذلك، فمن حق المسلم، بل من واجبه أن ينكر ما يراه باطلاً مُتفقاً على بطلانه، ويكفي أن جعل الرسول □ أفضل أنواع الاستشهاد، استشهاد رجلٍ قام في وجه سلطان جائر، حيث قال □: «أفضل الجهاد كلمة عدلٍ عند سلطان جائر»^(١)، وفي هذا تعليم للأمة كيف تحاسب نفسها، وتتقد ذاتها، وتسعى إلى إصلاح شأن دينها ودنياها"^(٢).

ونجد العلاقة بين حرية الرأي والتعبير بالإصلاح: "فالمرجع في الإسلام في تحديد منزلة التعبير والرأي هو الحكم الشرعي للرأي الذي يرد التعبير عنه، وعليه فهذه المنزلة على درجات، فقد تكون من قبيل الضرورات إذا كان يتوقف عليه إصلاح المجتمع في دينه ودنياه واستقراره، وقد يكون من قبيل الحاجيات إذا كان يندفع به ما يجلب الحرج والمشقة على المجتمع مثل: الأمور المتعلقة ببعض مصالح الدنيا التي تهم المجتمع في الطرق والزراعة ووسائل الاتصال ونحو ذلك، وقد يكون من قبيل التحسينيات إذا تعلق الرأي بما يكمل ويحسن من رعاية مصالح الناس"^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم: ٤٣٤٤، ينظر: أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، صحيح سنن أبي داود، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٢) العتبي: سعد بن بجاد، وسطية الإسلام تجاه حرية التعبير عن الرأي، ص ٣٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٦-٣٥.

ويصنف الغزالي -رحمه الله- حرية التعبير عن الرأي من الحقوق الإنسانية، التي تدخل في حق الدعوة والبلاغ حقاً من حقوق المسلمين، فيقول: "حق الدعوة والبلاغ: لكل فرد الحق أن يشارك - منفرداً ومع غيره - في حياة الجماعة: دينياً، اجتماعياً، وثقافياً، وسياسياً، وأن ينشئ من المؤسسات، ويصطنع من الوسائل ما هو ضروري لممارسة هذا الحق لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨)"^(١)، "فمن حق كل فرد، ومن واجبه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يطالب المجتمع بإقامة المؤسسات التي تُهيئ للأفراد الوفاء بهذه المسؤولية، تعاوناً على البر والتقوى لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، ولقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾ (المائدة: ٢)"^(٢).

ولذلك جاءت الشريعة الإسلامية تقرر حرية التعبير عن الرأي، ووسطيتها في جميع الشؤون: "فهي وسط بين توسيع دائرته إلى أبعد الحدود، وبين تضييقها وتكبيرها بالقيود الشديدة"^(٣)، مقارنة بما نجده في الأنظمة والفلسفات الأخرى كالليبرالية^(٤) حيث أن حرية التعبير عن الرأي عندهم مطلقة في التعبير عن الرأي ليصل إلى حد الإلحاد والكفر، أو إلى تجاوز كل ما هو فطري وإنساني، مثل الدعوة إلى الشذوذ الجنسي، والفواحش، وما إلى ذلك من إهلاك وإفساد للناس، والمجتمع، والعالم أجمع، ونجد في الضفة الأخرى الأنظمة الاستبدادية والتي تقمع

(١) الغزالي: محمد، حقوق الإنسان في الإسلام بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ١٩٨٤م، مرجع سابق، ص ٢١٨-٢١٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٨-٢١٩.

(٣) العتبي، سعد بن بجاد، وسطية الإسلام تجاه حرية التعبير عن الرأي، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٣٤، بتصرف.

الآراء وتضييق دائرة حرية الرأي والتعبير، بينما نجد الإسلام بين هذين النظامين يحل محلاً وسطاً لا إفراطاً ولا تفريطاً.

وعناية الإسلام بحرية التعبير عن الرأي تتجسد بالقول والنشر، أما بالقول فهو ما ذكرناه آنفاً، وأما بالنشر فهي ما تتعلق بحرية النشر والطباعة، فقد أقرت عليها المواثيق والعهود الدولية، وأعطتها أهمية بارزة فتسابقت على تطبيقها الدول الكبرى وحرصت على الإلتزام بهذه الحرية، وهي طباعة الصحف والمجلات والكتب، والتي من خلال هذه المطبوعات يستطيع الأفراد المثقفون والباحثون أن يكتبوا ما يرون أنه حق ويصلون رأيهم إلى الناس، وقد تكون هذه الآراء متعلقة بأحد جوانب الحياة السياسية والاجتماعية، فتصل للرأي العام، ومن خلال الرأي العام يتم التأثير في المجتمعات، وتحريكهم نحو الرأي الأقوى والأغلب.

ومن مظاهر حرية التعبير عن الرأي حرية النشر الإلكتروني وهذه الحرية بدأت مع العالم الجديد الذي تطور سريعاً نتيجة الشبكة الإلكترونية، والتي بدأت حديثاً بتطوير العملية الاجتماعية بابتكار وسائل تساعد الناس على الالتقاء من خلال برامج اجتماعية إلكترونية، والتي تسمى الآن وسائل التواصل الاجتماعي، وانتشرت هذه الوسائل المتضمنة برامج عالمية مثل تويتر والفيسبوك واليوتيوب، فأصبحت هناك برامج كاملة في اليوتيوب تعد من أفراد مستقلين عن الإعلام ينشرون من خلالها آرائهم السياسية والاجتماعية.

كما أن من مظاهر حرية التعبير عن الرأي، التجمعات السلمية والتي نشاهدها اليوم أمام السفارات أو الوزارات الحكومية وغيرها، والتي يقصد من خلالها الناس إيصال رأيهم حول قضية

ما إلى الجهة الرسمية المتعلقة بحل هذه القضية، ويدخل في هذه التجمعات السلمية القيام
بالمسيرات أو الإعلان عن حملات أو اعتصامات سلمية^(١).

(١) الضلاعين: أنسام ناجي الضلاعين، حرية الرأي والتعبير في المواثيق الدولية والتشريع الأردني، دراسة مقارنة، ٢٠١٩، ص ١٧-٢٠، بتصرف.

المطلب الثالث: أثر العدالة في تحقيق حرية التعبير عن الرأي

إن علاقة مبدأ العدالة في كل هذه المظاهر السابقة، هي تهيئة الأجواء؛ لتمكين هذه المظاهر وعدم قمعها بأي شكل من الأشكال، إذ نجد هناك علاقة وثيقة بين العدالة وحرية التعبير عن الرأي، في إبداء الرأي والتعبير دون إيذاء للناس أو كتم أفواههم، وهذا من خلال مواقف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مع رعيته ومع الناس عامة، كذلك لا تكون هناك بيئة عادلة إن لم يوجد فيها من ينتقد الأخطاء انتقاداً بناءً، فالانتقادات البناءة تُصلح المجتمعات، فالمجتمعات التي تُعطي مساحة لحرية التعبير عن الرأي نجدها سريعة التغيير للأفضل والأحسن.

فإن من مقاصد الحوار الحضاري اليوم؛ هو تحقيق حرية الرأي والتعبير تحت ضوابط، وحدود، لا تسمح للآخرين بتجاوزها، فالحرية المطلقة لا تعتبر حرية وإنما تعدي على حريات الغير، فلكل حرية حدود، وضوابط، حتى لا ينتهي بنا المطاف إلى هتك حرية الآخر، وقد وضع الإسلام قيود لحرية التعبير عن الرأي، ومن هذه القيود: " أولاً: أن في شريعة الإسلام يجب إنكار المنكر ولو كان صاحب المنكر يرى في منكره الحرية، ثانياً: حظر الرأي الذي يؤدي إلى الإفساد بعد صلاح الأمر، ثالثاً: تحريم العبث بأعراض الناس، بسبٍ أو شتم، رابعاً: تحريم الكذب، خامساً: تحريم الفحش، والتفحش، وبذاءة اللسان"^(١).

وقد تستخدم حرية الرأي والتعبير في الصراعات، والنزاعات، والتفرقة بين الناس، وقد استخدمت هذه الحرية في صالح إفساد العلاقات بين الشعوب، وهذا ما حصل بالضبط في الدنمارك عندما أساءت الصحيفة الدنماركية لأحد الشخصيات، والرموز المهمة في الإسلام؛ مثل

(١) الفيبي، موسى بن يحيى، الحوار أصوله وآدابه، وكيف نربي أبناءنا عليه؟، المدينة المنورة: دار الخضير، د.ط، ١٤٢٧هـ، ص ٥٠-

سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وإن شخصية النبي -صلى الله عليه وسلم- ليست شخصيةً عاديةً أو عابرةً في الإسلام، بل هو قدوة المسلمين عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك تم إستفزاز المسلمين الذي يبلغون ملياراتًا ونصف؛ بإسم حرية التعبير عن الرأي، من خلال نشر صور، وكارتير يسيء للرسول □، لذلك نحن نرفض الحرية المطلقة في التعبير عن الرأي؛ لأنها ستكون أداة قاسية في التفريق بين الشعوب، وعدم التعارف، والإنغلاق على الآخر.

ويذكر محمد قيراط^(١) عن خطورة حرية التعبير عن الرأي إذا لم تُقنن، والقول بالحرية المطلقة، فيقول: "الأخطر في القضية كلها هو نتائج استطلاعات الرأي العام التي جاءت لتؤكد ماذا يدور في أذهان الناس العاديين، إذ أكدت عدم الاعتراف بالخطأ وعدم احترام معتقدات وديانات الآخرين وهذا أمر خطير لأنه يشير إلى ضعف درجة التسامح والتفاهم والحوار بين الشعوب، وهنا نلاحظ الدور العكسي والسلبى والخطير الذي تلعبه وسائل الإعلام في عصر العولمة والثورة المعلوماتية والمجتمع الرقمي، وعصر القرية العالمية، فبدلاً من تشجيع الحوار الثقافي والتفاهم والتعرف على خصوصية الآخر وثقافته نلاحظ أن الآلة الإعلامية في المجتمع المعاصر أصبحت تهدم أكثر مما تبني وأصبحت تساهم في إثارة الفتن والحروب والنزاعات أكثر من مساهمتها في نشر السلم والأمن والأخوة والمحبة والتلاحم والتفاهم بين الشعوب والثقافات"^(٢).

إن غياب مبدأ العدالة في حرية التعبير عن الرأي سيؤدي إلى تجاوز الحدود المسموحة، وسينتج عنها ظهور مشاكل جديدة بإسم حرية التعبير عن الرأي، والتي من المفترض أن تكون أداة تجمع الشعوب، وتزرع تقبل الآخر وعدم الإضرار به، لذا وضع الإسلام ضوابط وحدود لهذه الحرية؛ لأنه يعلم أن لكل شيء له قدره.

(١) أحد أساتذة الإعلام في جامعة قطر.

(٢) قيراط: محمد، مقال نشر في جريدة الشرق القطرية بعنوان: تقديس حرية التعبير وتدني مشاعر وأديان الآخرين، ٢٠١٥م.

وبالنظر إلى أثر عدالة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في تحقيق حرية التعبير عن الرأي، فقد فكانوا يبدون رأيهم ويعبرون عن أي مشكلة دون أن يخافوا أو يترددوا! بل كان عمر -رضي الله عنه- نفسه هو من يقول: لا خير فينا إن لم نسمعها؛ لأنه يعلم بأن حرية التعبير عن الرأي جزء من التغيير للأفضل، وهي قياس مدى رضا الناس عن أفعال الحاكم المسئول عن فعل العدالة.

وماذا يعني وجود مبدأ العدالة في حرية التعبير عن الرأي؟ يعني حرية بدون إفراط ولا تقريط، وبالتالي فالعدالة تلعب دورًا كبيرًا في تحقيق حرية الرأي والتعبير في ضوء احترام الآخر، وعدم الإساءة إليه، وعدم التجريح أو حتى المجاملة وقول الباطل أو انتهاك حريات الآخر، فلكل حرية حدودها، وتجاوزها يعني تجاوز الآخر، فالحرية تتبغى أن تكون في إطار خُلقي ومنطقي.

ومن مقاصد الحوار الحضاري حرية التعبير عن الرأي؛ لأنها الحرية التي تكفل للناس تعارفهم فيما بينهم، والتعايش في ظل الحوار: "وحيثما نتاح حرية الرأي في مستوى الإعلان والحجاج فإن العقل ينفتح على الرأي المخالف والمعطيات المضادة، وتتم في نطاق الحوار المقابلة بين الآراء فيسقط الضعيف ويصح القوي، وذلك أمر بيّن بالمشاهد، ومن ثم فإن الكبت والمنع من التعبير والمحاورة فلا يثمر إلا الانغلاق على الرأي الواحد، والتشبث به والتعصب له، فلا يكون العقل ناظرًا إلى الأمور إلا من زاوية واحدة قد تخطئه الحقيقة أحيانًا كثيرة، ولا غرو حينئذ أن ينمو التعصب للآراء والتشبث الأعمى بها في كل مناخ تصادر فيه حرية التعبير"^(١).

(١) النجار: عبد المجيد، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، مرجع سابق، ص ٦١.

المبحث الخامس: أثر العدالة في تحقيق مقصد التكافل الاقتصادي

التشريع الإسلامي تشريع شامل يضم مختلف جوانب الحياة الإنسانية، وقد حرص الدين الإسلامي في الإهتمام بالجانب الإقتصادي، لأنه يُعدُّ من المصالح الإنسانية المشتركة، والتي تسعى البشرية في تحقيقها؛ بسبب توفير احتياجاتهم، فالجانب الإقتصادي مهم للفرد والمجتمع والأمة بشكل عام، وهذا بسبب أن الإنسان يحتاج لأخيه الإنسان، وهذه قاعدة مهمة يجب أن يفهمها كل إنسان، لأنه الفاعل في هذه القاعدة، فهو مشارك للآخر في مصالح لا تتحقق إلا باستشعارها والسعي في تحقيقها، وقد أكدت عليها آيات القرآن الكريم، قال الله - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣٢).

ويقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الآية السابقة، أنه يقصد بها "ليسخر بعضهم بعضا في الأعمال؛ لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا".^(١)، أما عند السعدي - رحمه الله -: "أي: ليسخر بعضهم بعضا في الأعمال والحرف والصنائع، فلو تساوى الناس في الغنى، ولم يحتج بعضهم إلى بعض، لتعطل كثير من مصالحهم ومنافعهم".^(٢).

ومن خلال الآية السابقة نرى بأن البشر يحتاجون لبعضهم البعض لإنجاز الأعمال، والمصالح، والمنافع فيما بينهم، ومن المعلوم أن مبدأ المصلحة موجود في الإسلام والديانات السماوية لإحتياج الإنسان للإنسان؛ لأنه أساس قيام الحضارات والمجتمعات، "فمبدأ المصلحة في الإسلام هو مبدأ قرّرتة الشرائع والأديان والفلسفات على اختلافها الواسع، بل إنّ هذه الأديان

(١) ابن كثير: الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ص ١٢٩٠.

(٢) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٣٢.

والشرائع والمناهج وجدت في الأصل لتحقيق المصلحة؛ فللمصلحة -وحدها- أنزل الله الكتب وأرسل الرسل وقرّر الشرائع" (١).

وعليه فهناك مصالح إنسانية مشتركة، لا يتم تحقيقها إلا بالتعاون، والتوزيع العادل بين الناس، وهذه المصالح الإنسانية معيارها وشرطها الإنسان، مهما كان لونه، أو عرقه، أو جنسه، أو دينه، فتحقيق هذه المصالح مسؤولية الإنسان، وقد أكدّ الدين الإسلامي على المصالح الإنسانية والدعوة إلى تحقيقها؛ من خلال إرساء مبادئ كبرى تصب في مصلحة الإنسان، وإن لم يشعر بهذه المصلحة، فالشريعة الإسلامية تدعو إلى تحقيق مقاصد ضرورية خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض أو النسل، وأخيراً حفظ المال، وهي من الضروريات الخمس في الإسلام، "ومن الأمور المقررة أن هذه المقاصد وترتيبها تتعلق بالفرد والجماعة على حد سواء، كما تتعاقب وتتفاعل مع بعضها البعض، إذ تشتمل الواحدة على الأخرى وتتفاعل معها لتحقيق تمام الحفظ والرعاية والصيانة لها، فحفظ النفس كما هو بديهي أساسي لحفظ الدين، لأنه حفظ للكيان والوجود، وكذلك حفظ العقل والنسل والمال" (٢).

والعدالة مقصد إسلامي إنساني؛ لإرتباطه بحماية ورعاية الإنسان، مهما كان انتمائه وعقيدته، فمقصد حفظ المال يؤكد على اهتمام الإسلام بالمال من خلال شريعته التي تساعد الإنسان في الحفاظ على ماله، وعدم إهداره أو استخدامه بصورة غير عادلة، "فمقصود الشرع من الخلق خمسة؛ وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم؛ فكل ما يتضمّن

(١) انظر: السرجاني: راغب، مقال بعنوان: مبدأ شرعي وفطرة بشرية، موقع قصة الإسلام، ٢٠١٧م، <https://cutt.ly/wYdYQUR>
(٢) عبد الفتاح: سيف الدين، النموذج المقاصدي وحقوق الإنسان التأسيسية رؤية إسلامية، (مصر: جمعية المسلم المعاصر، د.ط، ٢٠١٠م)، ص ٥٧.

حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكلُّ ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدةٌ ودفعها مصلحة" (١).

وما دام الاقتصاد يلعب دوراً كبيراً في الحياة الإنسانية فقد جاءت الشريعة الإسلامية تؤكد النظام الاقتصادي وأهميته، فقضية التكافل الاقتصادي تعتبر من أهم القضايا المتعلقة بالمصالح الإنسانية المشتركة، والتي أحاط الإسلام بها، وحدد معالمها وشروطها، وأهميتها كذلك، فإن موقف الإسلام من أهمية الاقتصاد في حياة الشعوب كان موقف إدراك لفطرة هذا الإنسان وحاجاته الطبيعية والنفسية، ولأننا بصدد موضوع التكافل الاقتصادي فلا بد من تعريفه، فالتكافل في اللغة من "كَفَلَ، والكافل: العائل، كَفَلَهُ يَكْفُلُهُ، وكفله إيّاه، وفي التنزيل العزيز: وَكَفَّلْهَا زَكْرِيَّا، والكافل والكفيل: الضامن" (٢)، "ويقصد بالتكافل في معناه اللفظي أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلًا في مجتمعه يمدّه بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ودفع الضرر" (٣).

واهتم الإسلام بالتكافل الاقتصادي لأنه شريان الحياة، وأصل قيام الإنسان والمجتمعات وديمومتها، فبدون سعي أو عمل لا يكون نماء واستقرار وعيش، لذلك أمر الإسلام بالعمل والحثّ عليه؛ لينال المسلم الأجر والثواب في الدنيا والآخرة، فأما أجره في الدنيا فهو الكسب الحلال، فقيام الاقتصاد أساسه الحثّ على العمل والسعي في طلب الرزق.

فالتكافل الاقتصادي موجود داخل الأسرة الصغيرة، والتي يتكون المجتمع، ويشير محمد الصالح إلى صورة هذا التكافل المتمثلة في الأسرة الصغيرة، فيقول: "يبدأ التكافل داخل

(١) الغزالي: محمد، المستصفي من علم الأصول، (السعودية: المدينة المنورة للطباعة، د. ط، ٢٠٠٨م)، ج ١، ص ٢٨٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١١، ص ٥٨٩ - ٥٩٠.

(٣) الفنجري: محمد شوقي، المذهب الاقتصادي في الإسلام، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، ١٩٩٢م)، ص ١٢٠.

الأسرة الواحدة، مظهرة توزيع المسؤولية بين أفرادها، وإناطة المسؤولية الاقتصادية برب الأسرة، تشاركه في ذلك ربة الأسرة".^(١) وهذا على مستوى الأسرة، فكيف بالمجتمع الكبير؟ وكيف تعامل الإسلام مع التكافل الاقتصادي بين أفرادها؟ والجواب من خلال فريضة الزكاة التي أوجبه الله - سبحانه وتعالى- على المسلمين.

فمن صور التكافل الاقتصادي في الإسلام الزكاة، فالزكاة فريضة وركن من أركان الإسلام، ونظام الزكاة في الإسلام قائم على نظرة الإسلام للإنسان، فنجد الإنسان الغني والإنسان الفقير، لذلك جاءت هذه العبادة المالية لتكفل مجموعة من الناس بصورة دورية مستمرة وفق شروط محددة، والزكاة تحقق توازنًا اقتصاديًا بين أفراد المجتمع الواحد، وبهذا نجد البيئة الإسلامية بيئة عادلة، لا يظلم القوي الضعيف، بل يتكافل معه اقتصاديًا لتوفير حياة كريمة، وهذا نموذج للبيئة العادلة التي يبحث عنها الإنسان، فهذه البيئة عادة تتصف بعدة أشياء، أهمها: وجود التكافل الاجتماعي؛ لتنوع الأفراد داخل المجتمع الواحد، ويؤكد خالد الدغيم^(٢) أهمية التكافل الاجتماعي في المجتمعات الإنسانية، وخاصة في هذا العصر؛ والسبب يعود للمشكلات التي يعاني منها أغلب الناس مثل الفقر والحرمان والشقاء، وهؤلاء يسعون دائما للبحث عن العدالة والمساواة والسعادة^(٣)، فموقف الإسلام من أهمية الاقتصاد في حياة الشعوب وإنعاشها واستقرارها موقف صريح من خلال فرض الزكاة، فهناك عدالة اقتصادية في الإسلام من خلال أولاً: مقصد حفظ المال، وثانياً: نظام الزكاة، فالعدالة تتجلى في الاقتصاد الإسلامي ورؤيته

(١) الصالح: محمد بن أحمد بن صالح، الزكاة والتكافل في الإسلام، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، د.ط، ١٩٨٤)، ص ٢١.

(٢) أستاذ في كلية العلوم الإسلامية بجامعة إسطنبول صباح الدين زعيم في تركيا.

(٣) يُنظر: الدغيم: خالد، التكافل الاجتماعي في تفعيل القيم الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية وترسيخها ولا سيما قيم التعاون والاحياء والكرم والمساواة والرحمة، (الأردن: المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، الإصدار الرابع، ٢٠٢٠م)، ص ٢٥٩ (بتصرف).

الثاقبة في توزيع المال على الناس، فلا بد من وجود العدالة الاقتصادية التي تحكم العلاقات الإنسانية في ظل حوار يستند إلى تحقيق القيم الإنسانية.

وتُعدُّ قضية العدالة الاقتصادية من القضايا الهامة بالنسبة للفرد والأسرة والمجتمع والدولة والإنسانية بشكل عام، ومع أن للاقتصاد دورًا في التأكيد على الولاء والانتماء للأمة، لكنّه أيضًا في ذات الوقت له دورٌ كبير للبشرية جمعاء في ظل التحديات المعاصرة التي يموج فيها العالم بتغيرات سريعة، وصراعات مختلفة، مما يفرض على بني البشر أن يؤكدوا وجودهم الإنساني في العالم من منطلق المشاركة والتفاعل والتأثر والتأثير في قضية أساسية تلعب دورًا محوريًا في الحياة الإنسانية تتمثل بالاقتصاد، وإشارة إلى أهمية العدالة الاقتصادية على مستوى الإنسانية التي تضمن حقوق المتفاعلين في التبادل الاقتصادي.

وفي المقابل نجد الأنظمة الأخرى السائدة في الغرب، لا تُحقق ما نحن بصدد البحث عنه، والتأكيد عليه، مثل النظام البرجماتي^(١)، والرأسمالي^(٢)، والاشتراكي^(٣)، فجميعها لا تُحقق المصالح الإنسانية المشتركة وعلى رأسها التكافل الاقتصادي، لأن هذه الأنظمة تعتمد فيها على تقسيم الناس، فأصحاب الثروة لهم السلطة في اكتساب الأموال والتصرف فيه، بينما الفقراء -وفي تسميتهم العبيد- لا يحق لهم الحصول على الأموال، فهم بمثابة الأدوات التي يستخدمونها للوصول إلى أهدافهم، وهذا يعود لنظرتهم غير المنصفة للإنسان، وتقسيم الناس إلى طبقات ومن ثم يتم التعامل معهم على حسب طبقتهم، ف رؤية الإسلام لمفهوم الاقتصاد والتكافل الاقتصادي

(١) "البرجماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني براغما، ومعناه العمل، وهي مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، أي الفكرة التي تحققها التجربة"، صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، بيروت:

دار الكتب اللبناني، ج ١، د. ط، ١٨٨٢م، ص ٢٠٣

(٢) "النظام الاجتماعي الذي يكون فيه العمال غير مالكين للثروات التي يستثمرونها"، المرجع السابق، ص ٦٠٢

(٣) "مذهب اجتماعي مضاد للمذهب الفردي، وهو المذهب الذي يعلق حياة الفرد بحياة المجتمع"، المرجع السابق، ص ٨٨

رؤية عادلة بخلاف ما أنتجته الفلسفات والنظريات والأنظمة ذات البعد المادي الوجودي النفعي، الذي لا يهتم بالمصلحة الإنسانية.

فلا يسعى إلى تحقيق المصالح الإنسانية المشتركة إلا من كان عادلاً، يهْمُهُ مصلحة الجميع، ومصلحة الإنسان، وهنا نجد أثر العدالة في تحقيق المصالح الإنسانية المشتركة، لأن هناك مصلحة قد تعتدي على مصلحة الآخرين لينفع ذاته فقط، وهذه المصلحة تتجسد في الفلسفة البرجماتية التي تدعو للمصلحة الشخصية: "الفلسفة البرجماتية التي تُنظَر للمنفعة الشخصية، التي تُؤدِّي إلى التقاتل والفناء، وتُعدُّ أحد مظاهر الفلسفات المادية العبيئية"^(١)، فنجد أنموذج الإنسان الذي يسعى إلى تحقيق منافعه، ومصالحه الشخصية على حساب مصالح الناس، وعدم المساواة في توزيع الثروة، وهذا بالضبط ما يحصل في الأنظمة غير العادلة، والتي لا تقوم بعملها كما ينبغي، وينسى الإنسان أنه ضمن مجتمع إنساني، يحمل أفرادها نفس المصالح، ونفس الإحتياجات، فيأتي مبدأ العدالة هنا ليقوم بدور الفاحص والباحث عن المصالح الإنسانية المشتركة ليقدمها للمجتمعات الإنسانية من خلال توزيع الثروات والحقوق بصورة عادلة، وتهئية الأجواء المعنوية التي تحمل الإنسان على القيام بدوره في تقبل أنه يحتاج للآخر في توفير مصالح إنسانية ضرورية.

نستنتج من خلال المبحث أن الإسلام كان عادلاً في التعامل مع أهم شريان يقود إلى تحقيق منافع ومصالح إنسانية مشتركة، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع.

(١) السرجاني: راغب، مقال بعنوان: مبدأ شرعي وفطرة بشرية، موقع قصة الإسلام، ٢٠١٧م، <https://cutt.ly/wYdYQUR>

المبحث السادس: أثر العدالة في تحقيق مقصد التعارف والتعايش

إن مفهوم التعارف لغة: "من عَرَفَ، وقد تعارف القوم أي عرف بعضهم بعضاً"^(١)، أما مفهوم التعارف اصطلاحاً، فهو: "مبدأ إسلامي واستراتيجية للمستقبل الإنساني، وإيجاد القواسم المشتركة بين بني البشر وتبنيه واضح للإنسان حتى يدرك طبيعته العقلية والنفسية أولاً، ثم طبيعته الإنسانية الشمولية ثانياً ثم دوره في الاستخلاف وتعمير الدنيا ثالثاً."^(٢)

فإن مقصد التعارف ينظم العلاقات الإنسانية في الإسلام، في ظل اختلاف الحاجات والمصالح، فالإسلام يحدد شكل التعامل مع الآخر، وللقرآن الكريم رؤية خاصة لمفهوم التعارف، يقول الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقد أشارت هذه الآية الكريمة إلى مرتكزات أربع وهي، أولاً: المرتكز اللغوي، وهو استخدام مصطلح التعارف الذي يعني تبادل فعل المعرفة، وثانياً: المرتكز العلمي؛ لأن الآية اشتملت على حقيقتين، أولهما: وحدة الأصل الإنساني وثانيهما: التنوع الإنساني، وثالثاً: المرتكز الأخلاقي، وهذا ما جاء في ختام الآية الكريمة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فإذا إلترم الناس على مبدأ أن التفاضل بين الناس يكون بالتقوى، سوف يتجاوزون مشكلة العصبية، ورابعاً: المرتكز الديني، ويتمثل في علم الله سبحانه وتعالى:

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ٢٣٧
(٢) الباش، حسن، منهج التعارف الإنساني في الإسلام، نحو قواسم مشتركة بين الشعوب، طرابلس: منشورات جمعية الدولة الإسلامية العامة الجماهيرية العظمى، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٥

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ولأنه عليم فإن مقياس التفاضل لا يتعارض مع مبدأ العدل والمساواة.^(١) (٢) فالتعارف في ظل الرؤية القرآنية يؤكد على اختلاف الناس، ولكن أصلهم واحد وخالقهم واحد - عز وجل-، وأن هذا الاختلاف لا يعني التضاد، بل التوافق والتعارف، واختلاف الناس في ألوانهم؛ هذا لبيان إعجاز الله في قدرته في الخلق، يقول الله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاختلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللَّوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الروم: ٢٢)، والتعايش لا يتم إلا بالتعارف-كما سيأتي بيانه لاحقاً فالنجاشي مثلاً عندما تعرّف على المسلمين المهاجرين والقرآن سمح لهم أن يستقروا في الحبشة.

أما مفهوم التعايش في اللغة: من (عاش) أي: "عايشه: أي عاش معه، وتعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، والعيش: معناه الحياة وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل"^(٣). ومفهوم التعايش اصطلاحاً، عُرّف بأنه: "البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة، ومع هذا ليس هناك أي مانع للتوسع في استخدامه في ساحة العلاقات الاجتماعية بين أتباع الديانات المختلفة"^(٤).

وقيل التعايش يتحقق بأمرين هما: الحرية وعدم الاستبداد والمساواة في الحقوق، فمن مقاصد الحوار الحضاري هو تحقيق التعايش والتعارف، لأن التعايش بين الشعوب، والمؤسسات الدينية، والأفراد، هي خطوة بعد مشوار من البذل، والبناء الثقافي والحضاري^(٥).

(١) الميلاد: زكي، المسألة الحضارية (كيف نبني مستقبلنا في عالم متغير؟)، (المغرب: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٩م)، ص ٧٠-٧٤ (بتصرف).

(٢) راهي: فيس ناصر، أطروحة تعارف الحضارات عند زكي الميلاد، (البصرة: جامعة البصرة، كلية التربية، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٥، ٢٠١٣م)، ص ٣٢٥ (بتصرف).

(٣) المعجم الوسيط، ص ٦٤٠-٦٣٩.

(٤) الكعبي: علي عطية، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف، (دمشق: دار ومكتبة عدنان، د.ط، ٢٠١٤م)، ص ٧.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٥ (بتصرف).

ولأن الإسلام دين عدالة فقد ساهمت هذه العدالة في تحقيق التعايش والتعارف بين المسلمين والآخر، بل بين الإنسان والآخر، ويأتي الحوار هنا وسيلة لتحقيق هذا التعايش، وربما يكون التعايش وسيلة لتحقيق الحوار الذي يطمح إليه العالم اليوم، فهي أحد الوسائل الموصلة للتعايش: "والتعايش الثقافي والتساكن الحضاري، هما اللذان يمهدان للحوار الذي هو ضرورة من ضرورات العيش، فالحوار بين الثقافات والحضارات، وبين الافراد والجماعات، وبين الشعوب والحكومات، وبين المؤسسات والمنظمات، هو الوسيلة المثلى لتحقيق التوازن في الحياة الإنسانية"^(١).

وقد دعا الإسلام إلى التعارف والتعايش، وهذا نجده صريحاً في القرآن الكريم، والسنة النبوية، منطلقاً من تكريم الإنسان، وإعلان أن البشر سواء فلا اختلاف بينهم إلا بالتقوى، فالتكريم ليس له علاقة بالدين أو العرق أو الشكل، فمعيار التكريم في الإسلام هو الإنسانية؛ فالكل أمام الله متساوون، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

وجاء في السنة النبوية تحذير عن عدم ظلم الآخر أو إيذائه لأن عقابه عند الله عظيم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»^(٢).

(١) التوحيدي، عبد العزيز، الحوار من أجل التعايش، مرجع سابق، ص ٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، رقم: ٣١٦٦، ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح البخاري، (دمشق: دار ابن كثير، ط ١، ٢٠٠٢م)، ص ٧٨٢.

وأحد النماذج التي تشير إلى أهمية وجود العدالة لتحقيق التعارف والتعايش، نموذج الهجرة إلى الحبشة، وما تبعها من أحداث وحوارات، أدت إلى التقاء بين حضارتين مختلفتين في الدين، واللون، والمكان، ففي العام الخامس من البعثة، وبعد إعلان الرسول ﷺ الدعوة الإسلامية، لم تقتنع قريش بهذه الدعوة والفكر الجديد فرفضوها بالسب والشتم والتكيل، وقد آذوا الرسول ﷺ وأصحابه، ومن تبع الدين الجديد - الإسلام - حتى شكوا إلى الرسول ﷺ عن عدم استطاعتهم وتحملهم أذى المشركين، فأذن الرسول لهم بالهجرة إلى الحبشة؛ لأن فيها حاكم عادل.

وهنا نلاحظ أن الرسول ﷺ يركز على عدالة هذا الحاكم متجاوزاً الدين الذي يعتقد النجاشي، ومتجاوزاً بُعد المكان الذي سيهاجر إليه المسلمون، ولكن عدالة هذا الحاكم ربما ستكون الحسنة الوحيدة في هذه الهجرة الصعبة، فبلغ عدد المسلمين في هذه الهجرة إلى اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، وقد هاجروا سرّاً وعاشوا في الحبشة مدة يسيرة ثم رجعوا لمكة بعد أن سمعوا بخبر إسلام قريش وأتباعهم، ولكن لم يكن الأمر صحيحاً، وهذا في الحادثة المشهورة عن سجد قريش عندما نزلت على رسول الله ﷺ سورة النجم.

أما الهجرة الثانية فكان سببها أن المشركين زاد آذاهم وتعذيبهم للمسلمين، فأذن الرسول ﷺ أن يهاجر المسلمون إلى الحبشة مرة أخرى، وقد كان عدد المسلمين في الهجرة الثانية أكثر عدداً من الهجرة الأولى، فقد كان يبلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة، وقد استعدت قريش لأي فرار للمسلمين من مكة، ولكن بقدرة الله استطاع المسلمون الفرار من المشركين مرة ثانية.

فأرسلت قريش إلى النجاشي حاكم الحبشة اثنين من دهاة رجالها وهما عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة، وكان معهما الهدايا لاستعطاف النجاشي وبطارقته للسماح لهم بإرجاع المسلمين المهاجرين معهم لمكة، فقالوا لهم: "إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء،

فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم"^(١).

لقد كان النجاشي حاكمًا نصرانيًا يُعرف بعدالته وحكمته، فلما حضر عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة مجلس النجاشي، وأخبروه بما يريدون، أمر النجاشي بإستدعاء المسلمين لمجلسه، وقد اتخذ المسلمون جعفر بن أبي طالب قائدًا لهم، والمتحدث باسمهم، فعندما جاءوا وسمعوا ما قاله عمرو بن العاص، فسألهم النجاشي عن دينهم، فقال: "ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟"^(٢)، تقدّم جعفر وقال: "أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الحجر والأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونسفك الدماء حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف صدقه وأمانته، فدعانا الله وحده وخلع ما كان يعبده آباؤنا من دون الله، ودعانا لصلة الأرحام وأداء الأمانة، وحسن الجوار، ونهانا عن الفواحش، وسفك الدماء، وقول الزور. وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام، وتوحيد الله وعدم الإشراك به، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، وحالوا بيننا وبين ديننا فخرجنا إلى بلادك، واخترتناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا ألا تظلم عندك أيها الملك!"^(٣).

فلما سمع النجاشي كلام جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- طلب منه قراءة شيء من القرآن، فقرأ عليه من سورة مريم، فبكى النجاشي وبكى معه الأساقفة، وقال النجاشي بأن هذا الدين الذي تنتمون له لهو الحق.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٩٠م)، ج١، ص٣٦١.

(٢) المرجع السابق، ص٣٦٢.

(٣) المباركفوري، روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، (الرياض: د.ن، ط٨، ١٤٣٢هـ)، ص٤٣-٤٤.

إن المتأمل في الحوار الذي دار بين النجاشي وجعفر -رضي الله عنه- ودهاة قريش، يجد اختلافات كثيرة بين الأطراف الثلاثة؛ أهمها المعتقد والدين، فنجد المُشرك، والمسلم، والنصراني، وهؤلاء ليسوا ببعيد عن المشهد الحواري الذي يُقام كل سنة في المؤتمرات الدينية تحت شعارات تعايشية وتعارفية، إلا أن هناك غياباً في بعض المبادئ والقيم التي تحرك هذا المشهد، وتجعله واقعياً وذو نتائج إيجابية، كما أننا نجد لمبدأ العدالة حضوراً قوياً في المشهد السابق - حوار النجاشي مع جعفر - رضي الله عنه - والذي أدى إلى تعايش المسلمين في الحبشة لمدة طويلة دون أن يكون هناك صراع أو إنتهاك للحقوق.

فالعدالة في الحوار؛ تحقق التعايش والتعارف بين الطرفين، وهذا نجده واضحاً عندما طلب النجاشي من جعفر أن يقرأ عليه شيئاً من القرآن، وكأن النجاشي أراد أن يتعرف أكثر عن الإسلام، وكان المشترك الديني بين جعفر -رضي الله عنه- وبين النجاشي هي السيدة مريم - عليها السلام - فقرأ جعفر -رضي الله عنه- سورة مريم.

وهكذا فإن مبدأ العدالة في الحوار أعطى للطرفين ما يحتاجه للتعبير عما يريد، فقد أعطى للمسلمين فرصة العيش والإستقرار والأمن في الحبشة، وأعطى للنجاشي المعرفة، والتعرف على الإسلام، فكان هناك شبه التقاء بين الديانتين الإسلامية والنصرانية، وحصل تعارف بينهما، وهذا بفضل الله - سبحانه وتعالى - أولاً، ثم عدالة النجاشي، وهذا يجعلنا نؤكد على أهمية ترسيخ المبادئ والقيم الإنسانية وبخاصة مبدأ العدالة في الحوارات الحضارية المتمثلة في الندوات والمؤتمرات العالمية.

ففي وثيقة المدينة والتي أسسها النبي -صلى الله عليه وسلم- على العدالة والرحمة والبر كانت خير مثال لتعايش المسلمين مع الآخر، والتي كان طرفها الثاني اليهود، وخاصة يهود

المدينة، ولقد عرفت وثيقة المدينة بالوثيقة السياسية وقد استفاد منها السياسيون الآن فاشتهرت بأسماء أخرى مثل: الدستور، الوثيقة، والصحيفة.

وكان مجمل الوثيقة هو حماية اليهود وعدم ظلمهم أو إيذاءهم، فجاءت الإتفاقية عادلة في حكمها، وشروطها، وسنستعرض بعض ما نصت عليه الوثيقة^(١):

- "وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم وأن كل غزوة غزت معنا يعقب بعضهم بعضاً وأن المؤمنين يبيء بعضهم عن بعض بما نال دماؤهم في سبيل الله".

- "وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته".

ونستنتج من الوثيقة أن النبي □ كان عادلاً مع اليهود في بيان ما عليهم من حقوق وواجبات، وبيان الشروط التي تنتقض الوثيقة حتى لا يظلم أحد من اليهود، وكتابة الوثيقة من البداية كانت فكرة عادلة؛ لأنها تدل على الاعتراف بالآخر، ومراعاة ما عليه من حقوق بغض النظر عن دينه وما يعتقد، لأن النبي □ أعدل الناس، وهو قدوة المسلمين لذا حرص النبي أن يكون أول العاملين بالشريعة الإسلامية والتي أساسها العدالة ومصدرها العدل وهو الله سبحانه وتعالى.

(١) الشعيبي: صالح بن محمد، حقوق الإنسان في وثيقة عمر بن الخطاب لأهل إيليا، دراسة مقارنة بالمواثيق والمعاهدات الدولية، رسالة ماجستير، (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، د.ط، ٢٠١٥م)، ص ٤٧-٤٨.

وعندما نقف على ما كتبه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لأهل إيليا فإننا نجد جُملة من الحقوق التي كفلها عمر بن الخطاب لأهل إيلياء، وهي: أولاً ضمان الآمن لهم في أنفسهم ومالهم ودينهم، فحماية النفس والمال والدين أعظم حماية قد يتمتع بها الفرد؛ لأن أعلى ما يملك المرء هو نفسه ودينه وماله، وهنا نجد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يُطمئن أهل إيلياء بتأمين أنفسهم ومالهم ودينهم.

وكذلك قضية السلم من ضمن القضايا الموجودة في سُلْم التعايش؛ والتي يسعى الناس إلى تحقيقها لأنها تصنع لهم بيئة آمنة بعيدة عن الصراعات والحروب، ومن جهة أخرى فإن الإسلام يدعو إلى السلم في كتابه العزيز، يقول الله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٨)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة الأنفال: ٦١)، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يَقَاتِلْكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (سورة النساء: ٩٠)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ٩٤)^(١).

كما أن العدالة التي اتصف بها الحكم الإسلامي في الأندلس كان لها الدور الكبير في التعايش والتعارف بين المسلمين والنصارى واليهود، وحصل تعايش بين المسلمين والنصارى، فيذكر هذه العلاقة علي الكعبي في كتابه التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس،

(١) التويجري، عبد العزيز، الحوار من أجل التعايش، مرجع سابق، ص ١٦٠.

فيقول: "لقد كان للمعاملة التي أبدتها المسلمون تجاه نصارى الأندلس أثرها الإيجابي بحيث جعلتهم يتقبلون النظام الجديد"^(١).

فمن مظاهر التعايش بين المسلمين والنصارى في الأندلس: أنه لم يحدث اختلاف بين أزياءهم، بل كان للآخر حرية في اختيار ملابسه، فلم تفرض الحكومة الإسلامية نوعاً خاصاً من الملابس للآخر، بل سمحت للجميع أن يمثل ثقافته وهويته دون تدخل منهم، ولقد تعلموا اللغة العربية، وأصبح هناك حركة في الترجمة، وخاصة ترجمة العلوم العربية كالطب والرياضيات^(٢).

كذلك اليهود عاشوا في استقرار تحت الحكم الإسلامي في الأندلس، وأصبح هناك تعايش بين المسلمين واليهود، فاندمجوا في التجارة والأعمال المالية، هذا التعايش كان نتيجة العدالة الإسلامية المتمثلة في الحكم في ذلك الوقت، فلم يفرض الحكم الإسلامي الدين الإسلامي على الآخرين، بل أعطاهم مساحتهم الخاصة في اختيار الدين، ومن ثم احترام الإسلام اختيارهم، وهذا بعكس الإمبراطورية الرومانية التي أجبرت الناس في الدخول في المسيحية، فالإسلام دين يحترم الإنسان مهما كان وضعه، فوجد شوقي أبو خليل يضع شرطاً لقياس مستوى التحضر لأي أمة، فيقول: " إن المعيار السليم الذي يجب أن تقاس به مستويات التحضر لأي أمة ما، هو نظرتها إلى الإنسان، وموقعه ومكانته في إطار هذه الحضارة"^(٣)، لذلك أعجب الفيلسوف الفرنسي رينان بقيمة الإنسان في الإسلام، فقال: الإسلام دين الإنسان^(٤).

(١) الكعبي: علي عطية، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف، مرجع سابق، ص ١٣٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٣٩

(٣) شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، (بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ط ١، ١٩٩٤م)، ص ١٠.

(٤) المرجع السابق، ص ١١

فكان ذلك سبباً إلى التعايش بين أتباع الأديان الثلاثة بحيث بدأت حياة جديدة ونظام في الأندلس يسودهما العدل والإنسانية، مما أدى إلى التعايش فكان لآخر حقوق وواجبات كما للمسلم حقوق وواجبات فلا ظلم ولا عدوان على الآخر بسبب الدين أو اللون بل كان المسلمون يتعاملون مع هؤلاء باحترام كونهم يرتبطون معهم برابطة الإنسانية، وكان يسمى الآخر الذي يعيش تحت الحكم الإسلامي، ذمياً وهو في القانون الإسلامي تحت حماية، ورعاية المسلمين، فلا يؤذى، ولا يظلم، ولا تنتهك حقوقه، "وكذا الذميين والمستأمنين منزلة خاصة في التعامل معهم، وتقيم العلاقة بين المسلمين ومواطنيهم من أهل الكتاب على أسس وطيدة من التسامح والعدالة والرحمة والبر، وأساس هذه العلاقة والتعامل في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: ٨)"^(١).

فالناظر في الحكم الإسلامي خلال حكمهم في الأندلس يجد أن الحكم الإسلامي كان يتمتع بخصائص ومميزات، أهمها: أن الأمن والاستقرار والتعايش بين المسلمين والنصارى قد ساد، وكذلك التعايش بين المسلمين واليهود، ولقد عاش اليهود لقرون طويلة في استقرار بعد شتاتهم الممتد في أوروبا، إلى أن وجدوا الأندلس المكان الآمن لهم، والذي ساعد على زيادة الأمن هو الحكم الإسلامي الذي اتصف بالعدالة آنذاك.

فالعالم اليوم بأمس الحاجة إلى أداة حضارية تمنع نشوب الحروب بين الدول، وهذه الأداة هي الحوار الحضاري، ولكي يكون هناك حوار حضاري علينا أن نحقق التعارف والتعايش، لأنهما يمهدان لحوار إنساني حضاري حقيقي مستمر لمعالجة المشاكل، وهناك من يقدم التعايش

(١) المرجع السابق، ص ٢٣٥-٢٣٦.

للحصول على حوار، فأيهما مقدم على الآخر؟ الحوار أم التعايش؟ وأرى أن مبدأ العدالة يجمع بين الاثنين؛ الحوار والتعايش، وللتعايش صلة بالبيئة والقانون الذي يسيّر هذه البيئة ويحافظ على نمائها وتطورها، والقانون الذي يحترم الإنسان هو القانون المبني على مجموعة من الأخلاق والمبادئ والقيم الفضيلة والتي تراعي الإنسان أولاً، وتحفظ له حقوقه وواجباته، وأهم مبدأ يساعد على بناء هذه البيئة هو مبدأ العدالة.

فتحقيق التعايش لا يكون إلا في ظل مبدأ العدالة، "ولا يتم التعايش في ظل هيمنة القوي على الضعيف، أو استغلال الغني للفقير، وإنما التعايش يقوم ويزدهر في ظل التعاون المشترك، والإحترام المتبادل، على أساس من الإلتزام بمبادئ الحق والعدل والشرعية والقانون الدولي^(١)." كما أن هناك علاقة بين تحقيق التعايش وتحقيق المصالح الإنسانية المشتركة، والتاريخ الإنساني حافل بالوقائع والأحداث التي تؤكد على أن الإنسان يبحث عن المصلحة المشتركة من قاعدة صلبة وراسخة هي التعارف والتعايش.

(١) المرجع السابق، ص ١٦٠.

الخاتمة

إن مبدأ العدالة في المنظور الإسلامي يُشكل لبنة أساسية في المنظومة الأخلاقية، والمبادئ الكلية للشريعة الإسلامية، ابتداءً من الدعوة إلى تحقيق العدل والعدالة وانتهاءً بتحريم الظلم، فالعدالة لها مكانتها الخاصة في الوحيين؛ القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا يعود لأهميتها العظمى، وفعاليتها في تحقيق مقاصد كبرى كمقاصد الحوار الحضاري.

كما أن دور العدالة في تحقيق مقاصد الحوار الحضاري اختصر للبشرية أسباب النهوض والازدهار والتقدم العمراني، وأسباب التفاوت والانهيال الحضاري، فمن الملاحظ أن حضور مبدأ العدالة في الحوار سيعالج أغلب المشكلات التي يحاول من خلالها ملف حوار الحضارات إيجاد حلول ممكنة وواقعية لها، وقد أثبتت هذه الدراسة أهمية وجود مبدأ العدالة في تحقيق مقاصد إنسانية كانت ومازالت تسعى البشرية منذ تاريخها في تحقيقها، والتي تتجسد في حفظ الكرامة الإنسانية، وحرية المعتقد والتعبير عن الرأي، وتحقيق التكافل الاقتصادي و تحقيق التعارف والتعايش.

النتائج التي توصل إليها البحث:

يمكن إجمال أهم النتائج التي توصل إليها البحث في ما يأتي:

- (١) وضوح الوحي في بيان مبدأ العدالة والتحذير من القيمة المضادة له وهي الظلم.
- (٢) أن السنة النبوية اشتملت على أحاديث نبوية شريفة تدعو إلى العدالة وتأمير المسلمين بالعدل كمبدأ إنساني عظيم وعد الله سبحانه وتعالى أصحابه من المقسطين أن يكونوا على منابر من نور، قريبين من عرش الرحمن.

(٣) اهتمام الفكر الإسلامي بموضوع الأخلاق والقيم والمبادئ، إذ لم يغيب مبدأ العدالة في

كتب ودراسات المفكرين المسلمين.

٤) أثر العدالة في حفظ الكرامة الإنسانية من خلال منح الإنسان: الفكر، وحرية الاختيار، وهذا نجده في الدين الإسلامي، وهناك علاقة بين الحوار وحفظ الكرامة الإنسانية، وهي: أن الحوار مع الآخر أو مع الذات هو اعتراف للنفس البشرية وقبولها ابتداءً.

٥) إن الإسلام يحقق حرية المعتقد من خلال عدم إكراه الناس في الدخول فيه، وعدم إجبار غير المسلمين بالإسلام، فمن أهم مظاهرها وثيقة عمر-رضي الله عنه- لأهل إيليا والذي جاء فيها: " ولا يكرهون على دين ولا يضار أحد منهم".

٦) أثر العدالة في تحقيق حرية التعبير عن الرأي من خلال الاعتراف بالآخر أولاً، ثم تبادل الرأي بين الطرفين دون صراع أو إنقاص في حقه.

٧) أثر العدالة في تحقيق التعارف والتعايش بين بني البشر على اختلاف أديانهم وثقافتهم وحضاراتهم من خلال مواقف وآثار كثيرة مدونة في التراث الإسلامي.

التوصيات:

- ١) توصية الباحثين والباحثات في مجال الأديان وحوار الحضارات لدراسة أثر مبادئ وقيم إسلامية أخرى لضمان حوار حضاري يحقق مقاصده.
- ٢) عقد ندوات ومؤتمرات تركز على مبدأ العدالة، وتبين جانب الدراسات التأصيلية المهمة بدور مبادئ الإسلام في تحقيق مقاصد الحوار الحضاري.
- ٣) إمكانية إضافة مبادئ وقيم إسلامية كمبدأ العدالة وبيان أثرها في تحقيق الحوار الحضاري ومقاصده.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق: حلمي محمد إسماعيل، (مصر: دار ابن خلدون، ط ١، ١٩٩٦م).
- ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: نايف أحمد الحمد، (السعودية: دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٨هـ).
- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الدمشقي الحنبلي أبو العباس تقي الدين ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ط ١، ١٩٧٦م).
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (القاهرة: المكتبة السلفية، ج ٥، ط ١، ١٣٧٩هـ).
- ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، (دمشق: دار يعرب، ط ١، ٢٠٠٤م).
- ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله الدرويش، (دم، دار يعرب، ط ١، ٢٠٠٤م).
- ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د. ط، د. ت).

- ابن نبي: مالك، شروط النهضة، (دمشق: دار الفكر، ط ١١، ٢٠١٣م).
- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٩٩٠م).
- أستاذ في كلية العلوم الإسلامية بجامعة إسطنبول صباح الدين زعيم في تركيا.
- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨م، الصادر من الهيئة المتحدة، وثيقة تاريخية، مادة ١٨ و ١٩.
- الأندلسي: أحمد بن محمد بن عبد ربّه، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٣م).
- أنيس: إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، ٢٠٠٤م).
- أوهاب: عائشة، موقع الإنسان بين مفهومي العدل في المسيحية والإسلام، (الجزائر: جامعة البويرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد الثامن عشر، د.ت).
- التويجري: عبد العزيز بن عثمان، الحوار من أجل التعايش، (القاهرة: دار الشروق، ط ١، ١٩٩٨م).
- الجرجاني: علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، (القاهرة: دار الفضيلة، ط ١، ١٤١٣هـ).
- حمادي: سهام، مقصد العدل وأثره في رعاية حقوق الإنسان، (الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، د.ط، ٢٠١٨م).
- حمدان: إياد فوزي، مظاهر الحرية الشخصية والعامّة في الإسلام، (السودان: مجلة دراسات دعوية، العدد ١٧، ٢٠٠٩م).

- الدامغاني: الحسين بن محمد الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، (بيروت: دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٨٣م).
- الدغيم: خالد، التكافل الاجتماعي في تفعيل القيم الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية وترسيخها ولا سيما قيم التعاون والاحاء والكرم والمساواة والرحمة، (الأردن: المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، الإصدار الرابع، ٢٠٢٠م).
- ديورانت: ويل، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، (بيروت: دار الجيل، د. ط، د.ت).
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، (بيروت: مكتبة لبنان، ط ١، م ١٩٨٦)، ج ١، ص ١٧٦.
- الراغب الأصفهاني: أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، (مكة: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، د.ط، ٢٠٠٩م).
- راهي: قيس ناصر، أطروحة تعارف الحضارات عند زكي الميلاد، (البصرة: جامعة البصرة، كلية التربية، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٥، ٢٠١٣م).
- الزحيلي: محمد، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أبعادها وضوابطها، (دمشق: مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٧، العدد الأول، ٢٠١١م).
- الزهراني: صالح، بن درياش بن موسى، حرية الاعتقاد في الإسلام، (جدة: بحث نشر في مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة، العدد ٦، ٢٠١٢م).
- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٣م).

- الشعبي: صالح بن محمد بن إبراهيم، حقوق الإنسان في وثيقة عمر بن الخطاب لأهل إيلياء، دراسة مقارنة بالمواثيق والمعاهدات الدولية، رسالة ماجستير، (الرياض: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).
- الشعبي: صالح بن محمد، حقوق الإنسان في وثيقة عمر بن الخطاب لأهل إيلياء، دراسة مقارنة بالمواثيق والمعاهدات الدولية، رسالة ماجستير، (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، د.ط، ٢٠١٥م).
- شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، (بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٩٩٤م)
- الصالح: محمد بن أحمد بن صالح، الزكاة والتكافل في الإسلام، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، د.ط، ١٩٨٤).
- صبرينة: برارمة، حرينا التعبير والمعتقد كأسلوب للاتصال والتبادل، أطروحة دكتوراه، (الجزائر: جامعة محمد لمين دباغين، ٢٠١٦م).
- طيب: زمخشري بن حسب، أسس البناء الحضاري من المنظور القرآني، (بحث ماجستير، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، ماليزيا، ٢٠٠٩م).
- الصلابي: علي محمد، العدالة من المنظور الإسلامي، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ٢٠١٤م).
- مؤنس: حسين، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٠م).
- مالك بن نبي، تأملات، (دمشق: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٢م).

- الضلاعين: أنسام ناجي الضلاعين، حرية الرأي والتعبير في المواثيق الدولية والتشريع الأردني، دراسة مقارنة، ٢٠١٩.
- عبد الباقي: محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ط، ١٣٦٤هـ).
- عبد الفتاح: سيف الدين، النموذج المقاصدي وحقوق الإنسان التأسيسية رؤية إسلامية، (مصر: جمعية المسلم المعاصر، د.ط، ٢٠١٠م).
- العتبي، سعد بن بجاد، وسطية الإسلام تجاه حرية التعبير عن الرأي، مصر: المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، عدد ٢٣، ٢٠١١م.
- عجك: بسام داوود دعجك، الحوار الإسلامي المسيحي، (دم، دار قتيبية، ط١، ١٩٩٨).
- العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبو هلال، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة، ط١، د.ت).
- العقاد: عباس، الإنسان في القرآن، (بيروت: دار الكتاب العربي، المجلد الرابع، ١٩٧١م).
- عليوي: معاذ، العدالة وحرية التعبير خطوات الوصول للسلم الأهلي في المجتمع، (الدوحة: بحث في موقع مدونات الجزيرة، د.ط، ٢٠١٨م).
- عليوي، معاذ، العدالة وحرية التعبير خطوات الوصول للسلم الأهلي في المجتمع، بحث في مدونات الجزيرة.
- الغزالي: محمد، المستصفي من علم الأصول، (السعودية: المدينة المنورة للطباعة، د.ط، ٢٠٠٨م).
- الغنوشي: راشد، حقوق المواطنة، حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي، (تونس: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٨١م).

- الفراهيدي: الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٣م).
- فرمزي، فتحي جوهر، مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام التوراة والإنجيل والقرآن، (العراق: مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، العدد ١٥، ٢٠١٤م).
- الفنجري: محمد شوقي، المذهب الاقتصادي في الإسلام، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١، ١٩٩٢م).
- الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٨، ٢٠٠٥م).
- قطب: سيد، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط ٩، ج ١، ٢٠١٣م).
- الكتاب المقدس، سفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر التثنية. إنجيل متى.
- الكعبي: علي عطية، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف، (دمشق: دار ومكتبة عدنان، د.ط، ٢٠١٤م).
- المباركفوري، روضة الأنوار في سيرة النبي المختار، (الرياض: د.ن، ط ٨، ١٤٣٢هـ).
- مطالسي: حمي نور الدين، سؤال العدالة ومبدأ احترام الحق الإنساني، رسالة دكتوراة، (الجزائر: جامعة بن أحمد وهران، د.ط، د.ت).
- المناوي: عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، (القاهرة: عالم الكتب، ط ١، ١٩٩٠م).
- الميلاد: زكي، المسألة الحضارية (كيف نبتر مستقبلنا في عالم متغير؟)، (المغرب: المركز الثقافي العربي، ط ١، ١٩٩٩م).

- النجار: عبد المجيد، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٩٩٢م).
- النووي، يحيى بن شرف النووي دمشقي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، (دمشق- بيروت: دار ابن كثير، ط ١، ٢٠٠٧م).
- الهيتمي: عبد الستار إبراهيم، الحوار الذات والآخر، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ضمن سلسلة كتب الأمة قطر، العدد: ٩٩، ط ١، ٢٠٠٤م).
- الوطواط: جمال الدين محمد بن إبراهيم، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٨م).
- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، لبنان، بيروت: دار الكتب اللبناني، ج ١، د.ط، ١٩٨٢م.
- الفيافي، موسى بن يحيى، الحوار أصوله وآدابه، وكيف نربي أبناءنا عليه؟، المدينة المنورة: دار الخضير، د.ط، ١٤٢٧هـ.
- البصري، محمد بن علي الطيب، المعتمد في أصول الفقه، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ج ٢، ١٤٠٣هـ.
- سناء محمد سليمان، فن وأدب الحوار: بين الأصالة والمعاصرة، (عالم الكتب، ط ١، ٢٠١٣م).
- مقبول، إدريس، الحوار الحضاري، دراسة في النظام المعرفي والقيمي القرآني، البحث الثاني الفائز بجائزة قطر لحوار الحضارات ٢٠١٨م.
- لدرع، كمال، المرتكزات العلمية للبناء الحضاري للأمة الإسلامية من وجهة نظر الدين الإسلامي، (الجزائر: مجلة الإحياء، العدد ١٠، ٢٠٠٦م).

- المترجي، البدالي، مفهوم العمران في ضوء القرآن، الجزائر: جامعة مولاي السلطان بني بلال، مجلة الأثر، م ١٨، ع ١، ٢٠٢١م.
- زايد، أحمد محمد أحمد، من معالم الحضارة والمدنية في الدولة النبوية قراءة في فكر الإمام محمد عبد الحي الكتاني، مجلة وحدة الأمة، الجامعة الإسلامية، م ٣، ع ٦٤، ٢٠١٦م.
- شريف، قوعيش، الفن الجمالي في حضارة الأندلس، مجلة الناطقين بغير اللغة العربية، م ٢، ع ٣، ٢٠١٩.
- الحسيني، عبد الرزاق، العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العرفان: صيدا، بيروت، ط ٣، ١٩٥٨م.
- الذيب، عبد الرحمن محمد علي، العلاقة بين الثقافة والحضارة: دراسة نظرية، تونس: مجلة جامعة الزيتونة، العدد ٢٩، جامعة الزيتونة.
- كاسيرر، أرنست، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان، ترجمة: محمد يوسف نجم، بيروت: دار الأندلس، ١٩٦١م.
- عذب، خالد، أيمن منصور، الأهرامات المصرية أسطورة البناء والواقع، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: مصر، ط ١، ٢٠٠٠م.
- اشبنجلر، أسوالد، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة: أحمد الشيباني، ج ١، منشورات دار مكتبة الحياة: بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٦٤م.
- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، دار الفكر: دمشق، ط ١٢، ٢٠١٨.
- بوفضة، هدي، دور الدين في بناء الحضارة في فلسفة أرنولد توينبي، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة الأخوة، ٢٠٠٧م-٢٠٠٨م.

المراجع الإلكترونية:

- السرجاني: راغب، مقال بعنوان: مبدأ شرعي وفطرة بشرية، موقع قصة الإسلام، ٢٠١٧م،

<https://cutt.ly/wYdYQU>

- خضر، أحمد بن إبراهيم، النظرية والنموذج، مقال منشور على الانترنت، موقع

الألوكة، ٢٠١٣م، /<https://www.alukah.net/web/khedr/٠/٥٥٣٨٥>

- الدوري، سيف صفاء عبد الكريم، مفهوم الحضارة كما يصورها القرآن، شبكة الألوكة،

٢٠١٢م، file:///Users/aishaalsenaid/Downloads/١٧٤٢-٠٠٠-٠٢٩-

٠٠٢٪٢٠(١).pdf

- http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura٢١-aya١٠.html جامعة الملك

سعود، المصحف الالكتروني.

- عاشور، مصطفى، الإنسان معيار الحضارة، مقال منشور على موقع مركز وجدان

الحضاري، ٢٠٢١م،

https://www.wijdancenter.net/mcc_articles/%D8%A7%D9%84%D8%A5%

D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86-

%D9%85%D8%B9%D9%8A%D8%A7%D8%B1-

/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A9